Islamic Insight- Vol.5, No.1 (2022) (88 – 147)
ISSN: 2581-3269

دراسة الآيات القرآنية
ذات الإشارات العلمية: المنهجية والمزايا

ا.د/ كارم السيد غنيم *

الملخص:

تنبثق أهمية هذه الدراسة من كون القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة، ولذلك أودع الله فيه وُجوها عديدة من الإعجاز: لغوية وبلاغية وتشريعية وتاريخية واقتصادية وإنسانية وعلمية وغيرها... إذن، فالإعجاز العلمي وجه من وجوه الإعجاز في هذا الكتاب المبين، وهو وجه آن أوانه، وجاء وقت إبرازه وعرضه وتقديمه للناس، مسلمين وغير مسلمين، أما للمسلمين فإن دراسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة يستهدف (التثبيت)... تثبيت قلوب ضعاف الإيمان، وترسيخ قواعد العقيدة الإسلامية الصحيحة فيها، وصونها عن الانجراف مع التيارات الإلحادية أو العلمانية، أو الانحراف مع التيارات التي تبغي اقتلاع المسلمين من عقيدتهم، واقتيادهم إلى اتجاهات معاكسة لدينهم... وأما (الإثباتُ) فهو تقديم البراهين العلمية لغير المسلمين... البراهين التي تثبت أن هذا الكتاب العزيز كتاب إلهي المصدر، كتابٌ هو الوحيد على ظهر الأرض الآن الذي له عصمة الوحي، وسيبقى هكذا إلى أن تقوم قيامة الناس، وهو النور للحائرين في ظلمات الجهل، والهادي للضائعين في دياجير

---

* أستاذ بكلية العلوم جامعة الأزهر، عضو اتحاد كُتّاب مصر
البريد الإلكتروني: karemghoneim@gmail.com

الجهالة ، مصداقاً لقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً{174}"(سورة النساء)، ولاحظ أن النداء هنا للناس عموماً... فكيف، والأمر هكذا، يقف العلماء المسلمون أمام الآيات القرآنية الكونية والطبية التي يربو عددها على الألف آية... كيف يقفون أمامها يتلونها دون أن يُعملوا عقولهم فيها، لإبراز كنوزها، واستخراج لآلئها، والوصول إلى مكنوناتها... إنه ينبغي على العلماء والباحثين في كافة فروع العلم، إذن، أن يشمروا عن سواعد الجدّ في بحث هذه الآيات الكونية والطبية، وأن يتدبروها، لتنفتح أمامها أموراً عديدة خفيتْ على مَنْ سبقنا من العلماء والمفسرين، بالرغم من جهودهم الكبيرة التي بذلوها في تفسير وبيان آيات القرآن المجيد، ولكن كان جُل همهم منصبّاً على الآيات التشريعية، فكانوا يأتون في تفسير الآية، أو شرح الحديث، بكل وجه مُحتمل، ويحتجّون لكل وجه بما يمكن من الحُجج، وقد استعانوا بالأدلة النقلية والأدلة العقلية لتغليب أصحّ الوجوه ...

كيف يتم بحث الآيات الكونية في القرآن؟ إن هذا التناول لابد أن تضبطه ضوابط ، ولابد أن يسير تبعاً لمنهج واضح القسمات، وهو ما لم يسلكه البعض، بل غفل عنه عددٌ غير قليل من العاملين في هذا المجال... إنه المنهج الذي يصون المرء من الشطح، ويحميه من الزلل، ويقيه السقوط من مزالق تُسئُ إلى هذا الكتاب العظيم ... وقد قام نفرٌ من العلماء الأفاضل، وعددٌ من الجهات العاملة في هذا المجال، بوضع مشاريع لمنهجية دراسة الآيات القرآنية ذات الدلالات العلمية، شارك فيها صاحب البحث الحالي بجهود ملحوظة على امتداد أربعة عقود منصرمة...

وأما البحث الحالي فقد اشتمل على جميع تلك المقترحات السابقة وزيادة، فقد شرحنا فيه الضوابط الأساسية التالية: التزام المقصد الأسمى للقرآن الكريم وهو الهداية- القرآن هو الحاكم على العلوم- الرجوع إلى المأثور عن الرسول في

التفسير- الرجوع إلى التفاسير المعتبرة- قديما وحديثا- الإلمام بعلوم مساعدة- التثبّت من المعطيات العلمية- مراعاة تعدد معاني اللفظ الواحد- مراعاة تعدد المواضع- التزام شروط التأويل ومخاطر التوسّع فيه- مخاطرة استخراج جميع العلوم من القرآن الكريم في زمن واحد- السبق العلمي وحده غير كاف للاستدلال على إعجاز القرآن- عدم الجزم أو الحصر بما يسطره الباحث- الإلمام بالوحدة الكلية للقرآن- عدم بحث الأمور المتعلقة بالحياة الآخرة والغيب المطلق- الحذر من محاولة تفسير المعجزات وخوارق العادات- توفر الإخلاص والحيدة والنزاهة والموهبة لدى الباحث- عمل الفريق هو الأكثر نفعا...وأما مزايا تطبيق هذه المنهجية، فقد تناولناها في النقاط التالية:فقه الكون والظواهر الكونية وتخليص الناس من الأوهام المتعلقة بها- تعزيز إيمان المسلمين وحمايتهم من الغزوات الفكرية-تحفيز المسلمين إلى ولوج مجالات البحوث الكونية- فهم الآيات القرآنية بشكل أفضل- دفع المسلمين إلى استخراج السنن الكونية والنواميس الإلهية- تقديم الأدلة الدامغة لغير المسلمين على صدق القرآن- الإشارات القرآنية تفتح آفاقا مستقبلية للكشوف العلمية- توظيف نتائج بحوث الإشارات العلمية القرآنية في الدعوة الإسلامية.

التمهيد:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا {1} قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً{2}"(سورة الكهف). والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وإماماً للمرسلين، وختاماً للنبيين، سيدنا محمد، القائل في حديثه الشريف: (لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق، لا يضرّهم مَن خذلهم ولا مَن خالفهم، حتى يأتي أمرُ الله وهم ظاهرون على الناس) (صحيح مسلم- رقم 1037).

القرآن الكريم كتاب هداية من الله للإنسان في القضايا التي لا يستطيع الإنسان أن يضع لنفسه فيها أي ضوابط؛ مثل قضايا العقيدة وكلها غيب، وقضايا العبادة وكلها أوامر، وقضايا الأخلاق والمعاملات وكلها سلوكيات، وهذه هي رسالة القرآن الأساسية... ولكنه أيضا كتاب علم ومعرفة، احتوى قواعد وأصول العلوم والمعارف كلها، فهو لم ينزل ليعلم الناس تفاصيل العلوم التجريبية، كالكيمياء والفيزياء، والعلوم الطبية، كالتشريح وتدابير العلاج ووسائله، والزراعة وفنونها، ويضع لها القوانين، ولكنه حين يتعرض لآية في الآفاق أو آية في الأنفس، فإنه يحض على الاستدلال بها على توحيد الربوبية لله وحده، وعلى استحقاق الله وحده بالعبادة، وعلى صدق كتابه المجيد، كما أنه يوجهها لغرض (الهداية)، هداية الناس لعبادة الخالق الواحد العليم القدير، وهداية الطريق المستقيم في معرفة هذا الإله الواحد الأحد... وهو فى تناوله هذا تبلغ آياته من الدقة مبلغا لا ترقى إليه الصياغات العلمية الحديثة، وتشير إلى الحقائق العلمية ولا تتصادم معها أبدا، ولا تضع الحوائل على العقول في سبيل الوصول إلى معرفتها، بل تمهد هذه الآيات القرآنية الطريق إلى اكتشاف الكون والتعرف على مكنونات المخلوقات والوصول إلى معرفة ما يمكن الوصول إلى معرفته من دلائل عظمة الخالق وإبداعه في خلقه وصنعته ...

القرآن، إذن، هو النور الذي يبيّن غيره، ويكشف الغوامض، ويوضح الحقائق، ويدحض الأباطيل، وهو البرهان الأعظم على صدق دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ... إنه المعجزة العقلية العلمية، بالرغم من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أمياً، ولكن كانت معجزتُهُ . ولا تزال . عقلية علمية لتوائم طبيعية لرسالة، لأنها رسالة عالمية، على امتداد الزمان وباتساع آفاق المكان، رسالة ختم الله بها رسالته إلى البشرية، رسالة عالمية لا تخص شعباً بعينه، أو جنسا دون آخر، رسالة لا يحتويها مكان محدود، ولا يحدّها زمان معدود، بل هى رسالة البشرية

جمعاء، هادية للناس في مختلف البقاع وكافة الأصقاع، رسالة أفقها الزمني هو عالم الدنيا كله، وأفقها المكاني هو الكرة الأرضية جميعها ...

ولما كان القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة،فإن عطاءها متجدد على مرّ الزمان. وهو المعجزة العلمية التي أودع الله سبحانه فيها أسرارا لا تنقضي، وعجائب لا تنتهي.. المعجزة العلمية التي احتوت من الإحكام ودقة النظام، ما يعجز عن إحصائه كافة الأنام... فعلى المسلمين، عموما، وعلمائهم خصوصا، أن يمعنوا النظر والتدبر في مدلولات الكلمات والتعبيرات القرآنية على مرّ القرون: "وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً (73)"(سورة الفرقان)، إذ من سُنة العلم التطور، وكلما اتسعت آفاق المعرفة بالكون والإنسان، تحقق لا محالة قول النبى محمد صلى الله عليه وسلم: (لقد أُنزِلتْ عليَّ الليلةَ آيةٌ ؛ ويْلٌ لِمن قرأَها ولم يتفكرِ فيها: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164)"(سورة البقرة). حديث حسن، أخرجه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (4618)، وابن حبان (620) واللفظ له، وأبو الشيخ في "أخلاق النبي"(544).

ونقول لمن يخافون على الشرع الإسلامي من تهديد العلوم العصرية له، إنكم تسعون لـ (تحنيط) هذا الشرع الحنيف بإخراجه من دائرة العقل والفهم والتفقه.. فالعلوم العصرية خادمة للشرع الإسلامي، ومساعدة على فهم ما استغلق فهمه على السابقين من الأجيال التي لم يتوفر في عصورها ما يتوفر لنا في عصرنا الحالي من معطيات علمية، وكل هذا بإرادة الله تعالى، الذي يقيّض لكتابه العظيم وسُنة نبيه الكريم في كل عصر مَن ينافحون عنهما بتدبّرهما وتفهمهما ودراستهما

وبحث مكامن العظمة فيهما، واستخراج ما يستطيعون استخراجه من كنوز... وأما إذا لم تسعفنا المعطيات العلمية المتاحة لنا في عصرنا الحالي، فينبغي علينا التوقف عند ظاهر النص نزولا على قول الله تعالى: ".. وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ{7}"(سورة آل عمران)... فلعل الله تعالى يخلق من عباده في عصر قادم من يلهمه القدرة على فهم ما استعصى علينا فهمه واستنباطه واستخراجه من كنوز القرآن والسِّنة... نعم القرآن الكريم ليس كتاب علوم كونية ولكن إشاراته العلمية تدلل على علم العليم الخبير، ولو كان المعارضون لديهم عقول ناضجة وعندهم علم صحيح لما وقفوا هذه الوقفة المؤسفة ضد التفسير العلمي للإشارات العلمية في الآيات القرآنية، هؤلاء يودون أن يقف التفسير عند أقوال المفسرين السابقين حتى يُتهم القرآن بالتخلف وباحتوائه لأخطاء علمية... وفي الحقيقة، فإن الخطأ قد يكون خطأ المفسر الذي فسر بمعطيات عصره وبفهمه للآيات القرآنية، وفي الإسلام لكل مجتهد أجره في التفكير فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر التفكير والمحاولة، المهم أن يكون عند المجتهد الصلاحية العلمية والعقائدية للاجتهاد وأن يجتهد في مجال تخصصه العلمي ولا يجتهد فيما لا يعلم.

نبذة عن التطور التاريخي لبيان الإعجاز العلمي في الآيات الكونية بالقرآن:

من ناحية التطور التاريخي لهذا الاتجاه، فلقد كان القرن الخامس الهجري هو العصر الذهبي لبيان إعجاز القرآن الكريم، ويرجع ذلك إلى الحركة الفكرية العامة التي نضجت فى هذا العصر بعد أن انقضى دور الترجمة والنقل الذي قام به المسلمون، فانتقلوا إلى دور الهضم والإنتاج وظهر فى هذا العصر الباقلاني (403هـ) فألف كتابه المشهور "إعجاز القرآن" ردّا على الحركة التي قامت فى عهده تعاكس فكرة إعجاز القرآن، وظهر أيضا ابن حزم الأندلسي المتكلم، وعبد القاهر

الجرجاني.... ثم جاء القرن السادس الهجري فظهر فيه الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) والزمخشري (ت 538 هـ) وابن عطية الغرناطي (542 هـ)، وغيرهم ممن ليسوا في عداد المفسرين أمثال القاضي عياض (ت 544هـ) وأبو حامد الغزالي (ت 505هـ)... وجاء القرن السابع الهجري فبرز فيه صاحب "التفسير الكبير" (المسمى "مفاتيح الغيب") الإمام فخر الدين الرازي (ت 606هـ)، ثم ظهر آخرون غيره.

وأما بالنسبة للتفسير العلمي والإعجاز العلمي فقد ظهر منذ القرن السادس الهجري على أيدي أبي حامد الغزالي (ت 505هـ) في كتابه "جواهر القرآن" (دار الآفاق الجديدة للنشر والتوزيع - بيروت ، ط 5، سنة 1981م) وغيره من الكتب، وفخر الدين الرازي (ت 606هـ) في "التفسير الكبير" (المسمى "مفاتيح الغيب")، فقد تكلم كلاهما في التفسير والإعجاز العلمي القرآني. والكثير من العلماء يعدون الغزالي أوّل من لفت الأنظار إلى هذا اللون من التفسير العلمي، كما أشار لذلك الدكتور/ محمد حسين الذهبي (في كتابه "التفسير والمفسرون")، ثم سار على نهجه علماء، قالوا بقوله، واقتفوا أثره في ذلك... ولكن لعدم رعاية الموضوع فهو يظهر بشكل موجة؛ ويظهر لفترة ثم يختفي..

يقول الدكتور/ زغلول النجار: وفي العشرينيات من القرن العشرين الميلادي ظهر طنطاوي جوهري ثم مات في أوائل الخمسينيات من القرن ذاته وكان قد وضع تفسيره المسمى "الجواهر في تفسير القرآن الكريم"، وقد هوجم هذا التفسير من الأزهر وقبرت تجربة الرجل بالرغم من أنها كانت تجربة رائدة، ربما يكون قد بالغ فيها أحيانا، ولكن بشجاعته استطاع أن يوظف المعطيات العلمية في تفسير القرآن الكريم. وهو قال ذلك كثيرا، فقد حاول أن يفسر الآيات الكونية بالعلم، ولم يكن العلم قد وصل إلى ما وصل إليه الآن، فأصاب وأخطأ (الدكتور/ زغلول النجار: الإعجاز العلمي.. إشكالات المنهج والتطبيق حوار مع د. زغلول النجار. حوار بموقع

"إسلام أون لاين" على شبكة الإنترنت، بتاريخ 2005/8/11م). ولد "طنطاوي جوهري" في قرية "كفر عوض الله حجازي" التابعة لمحافظة الشرقية بمصر سنة (1287 هـ- 1870م)، وتوفى في صباح يوم الجمعة 3 من ذي الحجة 1358 هـ الموافق 12 يناير سنة 1940م، وليس في أوائل الخمسينات- كما ذكر الدكتور/ زغلول النجار... وكان الشيخ- رحمه الله- من علماء الأزهر، وصاحب منهج تفسيري في كتابه "الجواهر" حول العلاقة بين آيات القرآن والعلم، ويقع في 26 جزءً، وقد استغرق إنجاز هذا التفسير الفترة من سنة 1922 إلى سنة 1935م دون توقف. ونشره للمرة الأولى مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر. وكان الشيخ من العلماء الموسوعيين الذين جمعوا بين علوم كثيرة يبدو بعضها متناقضا... وقد صنّف الشيخ - رحمه الله - كتباً كثيرة يصعب حصرها في هذا المجال، ويغلب عليها الجمع بين القرآن والعلوم المتنوعة، والغرائب المتعددة، والعجائب النادرة، وعلى سبيل المثال له كتاب بعنوان "القرآن والعلوم العصرية " (نشر مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر) ضمّنه مباحث عن علم الفلك، والنبات، والبحار ، والحشرات والحيوانات ، والطيور ، وقد ذكر أن في القرآن آيات جامعات للعلوم العصرية ، وختم كتابه بفصل يفصّل فيه العلوم العصرية المستخرجة من آيات سورة النحل (الدكتور/عبد السلام اللوح: التفسير العلمي بين القبول والرد عرضاً ودراسة، باختصار وتصرّف).

وتوالت القرون وانقضت السنون، وأتى القرن الرابع عشر الهجري، فظهرت النزعة العلمية بقوة واضحة وازداد نشاط العلماء المسلمين (وغير المسلمين أحيانا) في بيان أوجه الإعجاز العلمي للقرآن، نظرا لأن لغة الزمن الحديث أصبحت هى لغة العلوم والمكتشفات والمخترعات حيث أضحى الإلحاد اليوم هو الإلحاد العلمي الذي يبحث عن نظريات علمية كبدائل لفكرة الخلق وقدرة خالق حكيم يهيمن على الكون ..!!

أما قرننا الهجري الخامس عشر- الذي نعيشه الآن، فقد برزت فيه زمرة من العلماء والباحثين الذين راحوا يستخرجون من القرآن أوجُها عجيبة فى دروب عديدة من الحياة والعلوم والفنون المتنوعة، وهؤلاء وإن كانوا من غير المفسرين (فالمفسّر له شروط وموصفات كثيرة لا يتوفر بعضها لهم) فإنهم كتبوا المقالات وألفوا المؤلفات قاصدين إبراز ما استطاعوا إبرازه من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن، وللسنّة الشريفة أيضا... ولقد تناولنا هذا الموضوع بالمناقشة والتفصيل في مؤلّفات سابقة لنا (دكتور/ كارم السيد غنيم: الإشارات العلمية في القرآن الكريم- بين الدراسة والتطبيق. دار الفكر العربي بالقاهرة، ط 1، 1995م & دكتور/ كارم السيد غنيم: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة- جهود وإنجازات مختلف الجهات. سلسلة "المشكاة"، يصدرها المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة بمصر، ط 1، 1425هـ / 2004م).

أساليب العلماءفي بحث الآيات الكونية الواردة بالقرآن الكريم:

يمكن القول بأن الجهود المبذولة فى بحوث الإعجاز العلمي للقرآن والسنة تنحصر في اتجاهين، أو أسلوبين، هما أسلوب المطابقة وأسلوب التطبيق . أما (أسلوب المطابقة) ففيه تكون الاكتشافات العلمية والمعارف الكونية معروفة فعلا، وتطابق ما ورد في القرآن والسُنة من حقائق، فيأتي العلماء ليوضحوا العلاقة بين هذه الاكتشافات وبين الحقائق القرآنية والنبوية. وينتشر هذا الأسلوب ليشمل معظم الدراسات والبحوث المعروفة في هذا المجال. وأما (أسلوب التطبيق) فتكون فيه المعارف العلمية والاكتشافات الكونية التي تطابق حقائق القرآن والسنة مجهولة ولم تكتشف بعد، فيتخذ العلماء من الإشارات العلمية القرآنية والنبوية منطلقات لدراسات علمية ومرتكزات لبحوث تجريبية تقودهم إلى اكتشافات مهمة. ولا تزال الدراسات والبحوث التي تعتمد هذا الأسلوب نادرة، بالرغم من أهميتها، بل

وضرورتها، مهما كانت شاقة أو تتطلب جهودا مضنية، وذلك لفوائدها العديدة، ومنها : اتخاذ القرآن والسنة مصدرين للحقائق العلمية، وعدم الانتظار - في فهم آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم - إلى ما بعد ظهور الحقائق الكونية أو الإكتشافات العلمية، وكذلك حسم النزاع في كثير من الأمور الطبية ، والعلمية عموما، بالرجوع إلى النص القرآني، والنص النبوي الصحيح ، المحتوى للحقيقة العلمية ...

والخلاصة، أنه لا يجوز الوقوف عند بيان ما في القرآن والسنة من إشارات واضحة إلى حين تظهر المكتشفات والمخترعات الحديثة - وإن كان هذا وجه من وجوه الإعجاز في القرآن والسنة - بل الأهم أن يتدبر العالم والباحث في آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وينظر فيها نظرا يقدح زناد فكره، فينفتح أمامه طريق الكشف عن أمور عديدة ... والأمثلة عديدة على اتخاذ آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم منطلقات للبحوث والاكتشافات، كما كان الكثير من أعلام الحضارة الإسلامية يسلكون هذا المسلك ...

الضوابط الأساسية للمنهجية:

من المعروف للعلماء والباحثين أن أي عمل جاد لابد أن يحدد صاحبه هدفا أو مقصدا يرنو إلى تحقيقه، كما ينبغي أن يسير في عمله هذا وفق منهج محدد الضوابط حتى لا ينزلق في مزالق أو يضل الطريق... ولما كان بحث آيات القرآن الكريم من أعظم الأعمال، إن لم يكن أعظمها على الإطلاق، فإنه يتعين على الباحث أن ينضبط بضوابط منهجية ويسير في بحثه وفقا لقواعد واضحة...هذه المنهجية التي نناشد جميع العاملين في مجال الإعجاز العلمي أن يلتزموها، ولا يكفي الإخلاص والغيرة الإسلامية فقط ، بل لابد مع الإخلاص والغيرة أن يتسلح الباحثُ بضوابط

تصون عمله عن الشطط وتحميه من الشطح والإسراف والذهاب بالآيات إلى غير ما أنزلت من أجلها أو ليّ أعناق الآيات لتوافق ما يرنو إليه الباحث.

وقبل أن ندخل إلى وضع الضوابط الأساسية للمنهج، نرى من المناسب التعريف بالتفسير العلمي للقرآن، والإعجاز العلمي للقرآن، وبيان الختلاف فيما بينهما.

التفسير العلمي للقرآن الكريم:

البعض يخلط بين الإعجاز العلميِّ والتفسير العلمي، ولكنهما مختلفان؛ أما التفسير العلمي للقرآن الكريم فيعرف الشيخ/ عبد المجيد الزنداني بأنه: الكشف عن معاني الآية أو الحديث، في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية (عبد المجيد بن عزيز الزنداني وآخرون: تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المكتبة العصرية، بيروت لبنان).ويعرفه الدكتور/ فهد الرومي بأنه: اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز للقرآن (دكتور/ فهد بن عبدالرحمن الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر،رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية برقم 951/ 5 وتاريخ 1406/8/5،ط1, 1407هـ- 1986م).وفي مؤلف آخر، يقول الدكتور/ فهد الرومي: التفسير العلمي للقرآن هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم ومكتشفات العلم التجريبي والربط بينهما بوجه من الوجوه .وهذا تعريفه بما هو عليه.وأما تعريفه بما ينبغي أن يكون عليه فهو: كشف الصلة بين النصوص القرآنية وحقائق العلم التجريبي .والفرق بينهما أن في الأول خلطًا بين النظريات والحقائق العلمية بحيث نجد كثيرًا من المفسرين يفسرون القرآن بهما من غير تحقيق. وما ينبغي أن يكون هو التمييز بين النظريات والحقائق، والاقتصار على الثانية دون الأولى في تفسير القرآن الكريم. ومن العلماء

من قال بجواز التفسير العلمي، ومنهم من منعه، والذي نراه صوابًا هو الوسط بين الفريقين (الدكتور فهد الرومي: دراسات في علوم القرآن، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط 14، 2005م).

ويعرف الدكتور/ زغلول النجار التفسير العلمي للقرآن الكريم بأنه محاولة بشرية لفهم دلالة الآيات الكونية في كتاب الله، وهي آيات تمثل ثلث القرآن الكريم في أكثر من ألف آية قرآنية كريمة، وهذه الآيات لا يمكن أن تفهم فهما صحيحا في إطار اللغة وحدها، لأنها وحدها لا يمكن أن تعطي للإنسان القدرة على فهم دلالات الآيات الكونية التي تتحدث عن ظواهر كونية لا يمكن أن تفهم إلا في إطار ما حققه العلم من إنجازات في فهم هذه الظواهر (الدكتور/ زغلول النجار: الإعجاز العلمي.. إشكالات المنهج والتطبيق حوار مع د. زغلول النجار. حوار بموقع "إسلام أون لاين" على شبكة الإنترنت، بتاريخ 2005/8/11م).

وهكذا، فإن التفسير العلمي للآيات الكونية يشمل توظيف المعارف المتاحة من الثوابت العلمية والنظريات، وهو جهدٌ بشريٌ؛ لمن أصاب فيه أجران، ولمن أخطأ له أجر واحد. وإنّ من يفسّر القرآن بنظرية غير ثابتة فهو يفسره برأيه على غير قوانين العلم والنظر، بخلاف من يفسّره بهذه القوانين الثابتة، فهو يوضح ما في القرآن من آيات لا يمكن فهمها فهماً عميقاً في إطارها اللغوي فقط، بل لا بد من توظيف المعارف العلمية الحديثة من أجل ذلك؛ لأنّ فيها من المعاني ما لا يقف على دلالتها إلا الراسخون في العلم، كُلٌّ في حقل تخصّصه، ومن هنا كانت الآيات القرآنية العديدة التي تشير إلى مستقبلية الفهم لبعض الآيات القرآنية من مثل قوله تعالى:"سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) آية (53)"(سورة فصلت)، "لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (67)"(سورة الأنعام)، "وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (93)"(سورة النمل)، فمثلًا إذا

فسَّرْنا الآيات التي ذكَرت حركة الأجرام السماوية، وربطنا هذا التفسير بما توصل إليه العلم التجريبي في هذا المجال، فقد فسرنا تفسيرًا علميًّا.

وقد تنوعت آراءالعلماء في حكم التفسير العلمي للآيات الكونية إلى ثلاثة آراء: المؤيدون للتفسير العلمي، والمعارضون، والمعتدلون. وهذا الرأي الثالث هو الرأي المختار. فلا رفض مطلق ولا قبول مطلق بل وسط بين طرفين وجمع بين حقيقتين: حقيقة قرآنية ثابتة بالنص الذي لا يقبل الشك، وحقيقة علمية ثابتة بالتجربة والمشاهدة القطعيين، لأن التفسير العلمي ليس إلا نوعًا من أنواع التفاسير المتعددة؛ كالتفسير الفقهي، والتفسير الأدبي، والتفسير الإشاري، وغيرها من أنماط التفاسير، وهو تفسير منه المقبول ومنه المرفوض، بحسب التزامه بالشروط والضوابط التي سيأتي بيانها في المنهج بعد قليل.

الإعجاز العلمي للقرآن الكريم:

الإعجاز العلمي يعني تأكيد الكشوف العلمية الحديثة الثابتة والمستقرة للحقائق الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة بأدلة تفيد القطع واليقين باتفاق المتخصصين، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم (التوصيات الصادرة عن المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة- المنعقد بإسلام آباد- باكستان، ضمن كتيب تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أبحاث المؤتمر العلمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إصدار هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة- رابطة العالم الإسلامي، 1408هـ/1987م).ويعرف الدكتور/ زغلول النجار الإعجاز العلمي بأنه موقف تحدٍّ نتحدى به الناس كافة؛ مسلمين وغير مسلمين، بأن كتابا نزل قبل أربعة عشر قرنا على نبي أمي صلى الله عليه وسلم في أمة كان غالبيتها أميين، وهذا الكتاب يحوي حقيقة كونية لم يصل إليها علم الإنسان إلا منذ سنين قليلة، ولم يكن لعقل أن

يتخيل مصدرا لهذه الحقيقة الكونية في هذا الزمن السحيق إلا الله الخالق سبحانه وتعالى (الدكتور/ زغلول النجار: مرجع سابق).

وبناء عليه،فإن نتائج بحوث الإعجاز العلمي تعد من أكبر البراهين على أن القرآن الكريم منزَّلٌ من عليم خبير ولا يمكن أن يكون من تأليف بشر، فكون القرآن الكريم يخبر عن حقائق علمية، سواء تعلقت بالآفاق أم الأنفس، ثم يأتي العلم الحديث ليكتشف ما أخبر به القرآن قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، كلُّ هذا يجعل طالب الحق يعتقد أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم ولا غيره من البشر، بل هو منزَّل ممن علم ما كان وعلم ما يكون، وبالتالي، فإن الإعجاز العلمي ليس مذموما بل محمودا (ناصر عبدالغفور: كلمة مختصرة في الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي، منشور بموقع "طريق الإسلام" على شبكة الإنترنت، 2021/10/17م، بتصرّف).

وبعد اطلاعنا على عشرات الكتب المطبوعة في مجال الإشارات العلمية (أو الإعجاز العلمي) للقرآن الكريم خلال نصف قرن مضى، رأينا القليل من الكتاب من يتخذ لنفسه منهجا، ولكن الكثير منهم لم يتخذ منهجا ولم يلتزم بضوابط... أما القليل الذي رأيناه قد سار في تناوله للآيات القرآنية العلمية وفق منهج مقبول، أو ما يشبه المنهج، فنذكر منهم: الدكتور/ محمد أحمد الغمراوي في كتابه "الإسلام في عصر العلم"، حنفي أحمد في كتابه "التفسير العلمي للآيات الكونية"، محمد إسماعيل إبراهيم في كتابه "القرآن وإعجازه العلمي"، الدكتور/ عبدالله شحاته في كتابه "تفسير الآيات الكونية"، الدكتور/ منصور محمد حسب النبي في كتابه "الكون والإعجاز العلمي للقرآن"، وكتابه "القرآن الكريم والعلم الحديث"، الدكتور/ عبدالحافظ حلمي محمد في بحثه "العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن الكريم"، الدكتور/ عبدالعليم عبدالرحمن خضر في كتابه " الظواهر الجغرافية بين

العلم والقرآن"، عبدالمنعم السيد عشري في كتابه "تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم"، الدكتور/ محمد إبراهيم شريف في رسالته التي نال بها درجة للدكتوراه وقد طبعت في كتاب "اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم"، الدكتور/ محمد علي البار في كتابه "الأسرار العلمية والأحكام الفقهية في تحريم الخنزير"، الدكتور/ توفيق عز الدين في رسالته التي نال بها درجة الماجستير وقد طبعت في كتاب "دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث"، الدكتور/ عبدالحميد دياب والدكتور/ أحمد قرقوز في كتابهما "مع الطب في القرآن"، الدكتور/ يحي سعيد المحجري في كتابه "آيات قرآنية في مشكاة العلم"، الدكتور/ خالص جلبي كنجو في كتابه "الطب في محراب الإيمان"، عبدالمجيد الزنداني في بحثه الرائد "المعجزة العلمية في القرآن والسنة"، الدكتور/ محمد جمال الدين الفندي في كتابه "الله والكون"، والدكتور/ مصطفى مسلم في كتابه "مباحث في إعجاز القرآن"،الدكتور/ زغلول راغب النجار في كتبه "السماء في القرآن"، "علم النبات"، "علم الحيوان"، "علوم الأرض"، الدكتور/ أحمد عمر أبو حجر الذي نال درجة الدكتوراه ببحث طبع في كتاب بعنوان "التفسير العلمي في الميزان"، والدكتور/ إسلام محمد الشبراوي في كتابه "الجديد في المنظور العلمي للقرآن المجيد"... إضافة إلى عدد من البحوث التي عرضها أصحابها في مؤتمرات الإعجاز العلمي للقرآن والسنة في العديد من أنحاء العالم.

هذا، وبعد الاطلاع على هذه المؤلفات والبحوث وغيرها، فقد توصلنا إلى قواعد أو ضوابط أساسية في المنهج التالي بيانه لبحث الإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم... وهذا المنهج المقترح ينبغي اتباعه عند البحث أو الكتابة في كل من المجالين: "الإعجاز العلمي"، و"التفسير العلمي".

(1) التزام المقصد الأسمى للقرآن الكريم وهو الهداية:

يجب ألا تطغى دراسات وبحوث الإعجاز العلمي على الهدف الأول لنزول القرآن الكريم، وهو الهداية، وذلك كما أكَّد القرآن الكريم بآيات عديدة، مثل: "ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) ...قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (97)"(سورة البقرة)، "مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (4)... هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (138)"(سورة آل عمران)، "ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (88)"(سورة الأنعام)، وغيرها من الآيات، وأنه يهدف إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور"هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (9)"(سورة الحديد). وعليه، إذا كان هناك من وجود للإشارات العلمية في القرآن فإنها تأتي في هذا السياق، بمعنى أن الإشارات العلمية في القرآن تأتي أحياناً بوصفها أدلة على وجود الله، وأحياناً بوصفها شواهد على وجود المعاد، إلى غير هذا وذاك مما سيرد في المزايا إن شاء الله.

(2) القرآن هو الحاكم على العلوم:

يجب أن يضع الباحث نصب عينيه في جميع ما يبحث قاعدة أساسية وهى ألا نجعل معطيات العلوم حاكما للقرآن أو حكما عليه، بل نجعل القرآن دائما هو الحاكم للعلوم الطبيعية والكونية، والحكم على جميع معطياتها.. بمعنى ابتعاد الباحث عن إخضاع القرآن للقوانين العلمية، بل تجعل القرآن برهانا على صدق الحقيقة العلمية أو صحّة القانون العلمي... فالقرآن الكريم كلام الله الخالد الباقي، وهو الحلقة الختامية في سلسلة وحي الله تعالى إلى خلقه من البشر، وقد نزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك لا يمكن لمسلم عاقل أن يربطه بنظريات أو

افتراضات علمية، متغيرة أو متطورة بمرور الزمن وتوالي الكشوف وتتابع البحوث... وإنما من ألفاظ القرآن نستلهم المعاني، وبألفاظ القرآن نفهم العلم، وبمعطيات العلم يتسع فهمنا لكلمات القرآن، وبالعلم نتعرّف على بعض كنوز القرآن الدفينة في أعماق الألفاظ وبحار الكلمات... ولابد أن نقرّ بالتجدد المستمر للمعجزة العلمية القرآنية.. تجدد دائم على مرّ الزمان.. تجدد المعاني مع ثبات المباني، أي ثبات الكلمات والألفاظ والعبارات والآيات القرآنية، مع تجدد معانيها.

(3) الرجوع إلى المأثورعن الرسول في التفسير:

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) (صحيح الترمذي- 2663)، هذا ترهيب شديد لمن يتركون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم دون الاستعانة به في تفسير القرآن وشرح معانيه وتوسيع مدلولات كلماته، ودون إصلاح دنيا المرء ودينه به، فإذا كان القرآن مجملا فإن السنة النبوية مفصلة له، وإذا كان القرآن موجزا فإن السنة النبوية شرح له... ولذلك، ينبغي على القائم بمعالجة آيات القرآن الكريم أن يأخذ بالمنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم.. ثم بعد ذلك يرجع إلى التفسير المأثور عن الصحابة، لأنهم أصحابه وأقوالهم بمنزلة المرفوع إليه، فهم لا يقولون شيئا من عند أنفسهم، وخصوصا إذا كان تفسيرا لآية قرآنية... ثم يأخذ بعد هذا بالمدلول اللغوي للفظ، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين... ثم يأخذ بالمفهوم والتأويل والاجتهاد بالرأي، ويُشترط للرأي هنا أصل معتمد من قواعد الشريعة وأمور الدين، لآن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) (رواه الترمذي، رواه الإمام احمد في مسنده)...

(4) الرجوع إلى التفاسير المعتبرة- قديما وحديثا:

على القائم بدراسة الآيات الكونية القرآنية قبل أن يُقدم عليها أن يرجع رجوعا متأنيا إلى كتب التفسير المعتمدة، على أن يتخيّر منها ما أجمع العلماء، أو يكادون أن يجمعوا علي قوته، وخلوّه من الإسرائيليات والموضوعات والخرافات، أو بها قدر من هذه المرويّات، حتى وإن نبّه إليها صاحب التفسير ذاته... ونختار من التفاسير المعتمدة ما يلي: "جامع البيان في تفسير القرآن" لابن جرير الطبري (من علماء القرن الثالث الهجري)، "مفاتيح الغيب" لفخر الدين الرازي (من علماء القرن السادس الهجري)، "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير (من علماء القرن الثامن الهجري)، "روح المعاني" للألوسي (من علماء القرن الثالث عشر الهجري).. ومن المعاصرين، نختار "التحرير والتنوير" لمحمد الطاهر بن عاشور، "الخواطر" لمحمد متولي الشعراوي، "الأساس في التفسير" لسعيد حوي.. مع استبعاد التفاسير التي حشد فيها أصحابها العديد من الإسرائيليات، دون التنبيه عليها، والروايات الضعيفة المصادر غير المعتمدة، مثل تفاسير الخازن والنسفي والبيضاوي، وكذا التفاسير ذات الاتجاه الخاص، مثل تفاسير الصوفية ومعظم تفاسير الشيعة.

ويجب الانتباه إلى أن اعتياد الكثير من المفسرين على ترجيح معنىً معين، للآية أو الكلمة القرآنية، على غيره من المعاني، والانتصار له، وعدم سبْر جميع المعاني الأخرى، وهذا من مخاطره إغلاق باب التدبر والتأمل والتفكر في كتاب الله المجيد وتثوير آياته، وهو باب دعى القرآن إلى ولوجه في أكثر من آية... كما أن المفسرين حين ينتصرون لمعنىً معين ويغلّبونه على غيره من معاني اللفظة القرآنية، فذلك في حدود علومهم وما توفر لديهم من معارف في عصورهم، وهناك قاعدة في التفسير تقول: (التفسير ليس قرآنا)، فكلام المفسر إذن يُؤخذ منه ويُردّ، لأنه بشر مهما علا شأنه: "وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا

تَعْمَلونَ{93}" (سورة النمل)، "إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعالَمِينَ{87} وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ{88}"(سورة ص)، "لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ{67}"(سورة الأنعام). وعموما، لا يجوز التقليل أو الانتقاص من قدر المفسرين والعلماء السابقين، بل إنهم فهموا النصوص في حدود المعلومات المتاحة لهم في أزمنتهم، وعليه فلا مجال لتسفيه أحد منهم وإنما لابد من الاستفادة بما قدموه لنا، وندعو لهم على ما قدموه.

(5) الإلمام بعلوم مساعدة:

إن القيام بمهمة جليلة كهذه لهو عمل من أخطر الأعمال وأعظمها، ومن ثم فلابد للقائم بها أن يكون أولا وقبل كل شيء متمكنا من تخصصه العلمي. ثم يكون ثانياملما بقواعد العربية، جيد الفهم للألفاظ التي يتكلم عنها ويعمّق في معانيها، ولا يتأتى له هذا إلا إذا تسلح بالقدر الضروري من علوم النحو والصرف والاشتقاق والبلاغة. وأن يكون محيطا بالقدر الضروري من علوم القرآن الأخرى كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات، وكذلك أصول الدين.ودائما نوصي الباحثين بالتزام التحري اللغوي والتدقيق البياني في بداية البحث في موضوعات التفسير العلمي والإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

(6) التثبّت من المعطيات العلمية:

على القائم بمهمة الإيضاح العلمي للآية القرآنية - قبل أن يقحمها بمناسبة وبدون مناسبة - أن لا يأخذ في كلامه إلا بالحقائق العلمية الثابتة، ويبتعد عن النظريات والفروض والظنون والتخمينات. بمعنى توظيف أعلى المستويات المعرفية، وهى الحقائق العلمية، وعدم اللجوء إلى المستويات الأدنى كالنظريات والفروض. ومن المعروف أن العلم يبدأ فروضا، ولكن الفروض قد ترتقي لتصبح نظرية، وترتقي النظرية لتصبح حقيقة، ثم تصبح الحقيقة قانونا، وإذا وصل العلم لمستوى

الحقيقة فلا رجعة فيه ولا جدال. الحقائق الثابتة(Facts)، إذن، هى ما يُجمع عليه أهل الاختصاص قاطبة، كتمدد المعادن بالحرارة وانكماشها بالبرودة، وغليان الماء عند درجة 100 مئوية تحت الضغط الجوي العادي، وتجمّده عند درجة الصفر المئوي، ومثل كروية الأرض ودورانها حول محورها وحول الشمس. وأما النظريات العلمية(Theories) فهى مجموعة من النتائج يجري جمعها وتنسيقها ولكن لا تسلم من فجوات تظهر بها ومآخذ تؤخذ عليها مع تقدم العلم وتطوّر أدواته. ومن أمثلتها: "نظرية النشوء والارتقاء" أو "نظرية التطور" التي يدافع عنها دعاتها تعسفا منهم، وهم أول من يعلم معايبها وثغراتها ومآخذها. وأما الفروض العلمية(Assumptions)فهى ظنون أو تكهنات يحاول بها العلماء تفسير بعض الظاهرات التي لا يجدون لتفسيرها الواضح دليلا قاطعا. ونؤكد ضرورة توظف القطعي من الثوابت العلمية، وذلك لأنّ المقصود بالإعجاز العلمي هو إثبات أنّ القرآن الكريم هو كلام الله رب العالمين.

يقول الدكتور/ أحمد سعيدان: إن من طبيعة المعرفة العلمية أنها قاصرة على الدوام، غير أنها تراكمية وفي تقدم مستمر، إنها تقارب الحقيقة المطلقة ولا تدركها، فما نراه اليوم من حقائق ثابتة قد نرفضه في غد قريب أو نصححه، ومرد ذلك ليس قصورا في العلم ذاته، وإنما هو قصور في طبيعة العقل الإنساني، وكلما تكشف شيء جديد تكشفت معه مجاهل جديدة، وتكشفت آيات جديدة من بدائع صنع الخالق (الدكتور/ أحمد سليم سعيدان: مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام. سلسلة عالم المعرفة بالكويت (131)، ط1، 1988م).

ويقول الشيخ/محمد الأمين ولد الشيخ: يجب ألا تفسر الآيات الكونية إلا بيقينيات العلم والحقائق الثابتة دون النظريات والفروض التي لا تزال موضع فحص وتمحيص، أما الحدسيات والظنيات فلا يجوز أن يفسر بها القرآن؛ لأنها

عرضة للتصحيح والتعديل إن لم تكن للإبطال في أي وقت (محمد الأمين ولد الشيخ: بحث التفسير العلمي للقرآن بين المجيزين والمانعين، منشور بموقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (الإنترنت).

ويقول العلامة/ محمد هادي معرفة بهذا الشأن: إننا لا نحاول تطبيق آية قرآنية ذات حقيقة ثابتة على نظرية علمية غير ثابتة، وهي قابلةٌ للتعديل والتبديل...؛ فإن بقاء الآية على إبهامها أَوْلى من محاولة تطبيقها على نظرية علمية غير بالغة مبلغ القطعية والكمال، وربما كانت تحميلاً على الآية وتمحُّلاً باهتاً، إنْ لم يكن قَوْلاً على الله بغير علمٍ (محمد هادي معرفة: التمهيد في علوم القرآن. نشر دار المعارف، بيروت/لبنان، طبعة 1432هـ/ 2011م.).

ومن المحاذير التي نبه إليها محمد متولي الشعراوي- رحمه الله (ت 1419 هـ) ربط القرآن بالنظريات العلمية لا الحقائق العلمية، فقال أثناء تفسيره للآية: "فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125)"(سورة الأنعام) (في تفسيره"خواطر"): وهنا أراد بعض العلماء الذين يحبون أن يظهروا آيات القرآن كمعجزات كونية إلى أن تقوم الساعة، أرادوا أن يأخذوا من هذا القول دليلاً جديداً على صدق القرآن، وتساءلوا: من الذي كان يدرك أن الذي يصعد في الجو يتعب ويحتاج إلى مجهودين: الأول للعمل والثاني لمناهضة الجاذبية، ولذلك يضيق صدره لأنه لا يجد الهواء الكافي لإمداده بطاقة تولد وقوداً. ونقول لهؤلاء العلماء: لا يوجد ما يمنع استنباط ما يتفق في القضية الكونية مع القضية القرآنية بصدق، ولكن لنحبس شهوتنا في أن نربط القرآن بكل أحداث الكون حتى لا نتهافت فنجعل من تفسيرنا لآية من آيات القرآن دليلاً على تصديق نظرية قائمة، وقد نجد من بعد ذلك من يثبت خطأ النظرية. إنه يجب على المخلصين الذي يريدون

أن يربطوا بين القرآن لما فيه من معجزات قرآنية مع معجزات الكون أن يمتلكوا اليقظة فلا يربطواآيات القرآن إلا بالحقائق العلمية التي أثبتت التجارب صدقها. وقائل القرآن هو خالق الكون، لذلك لا تتناقض الحقيقة القرآنية مع الحقيقة الكونية، لذلك لا تحدد أنت الحقيقة القرآنية وتحصرها في شيء وهي غير محصورة فيه. وتنبه جيداً إلى أن تكون الحقيقة القرآنية حقيقة قرآنية صافية، وكذلك الحقيقة الكونية.

وضمن تفسيره للآية "أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا.. "(الرعد: 41)، ورد عن الشيخ كلام حول الصعود إلى القمر، ومنه:. وهناك أناس مُخْلِصون لدين الله، ويحاولون إثبات أن دين الله فيه أشياء تدلُّ على الأمور التي لم تُكتشَفْ بعد، فقالوا - على سبيل المثال فَوْر صعود الإنسان إلى القمر- لقد أوضح الحق ذلك حين قال: "يٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ.. (33)"(سورة الرحمن)، وقالوا: إنه سلطان العلم. ولكن ماذا يقولون في قول الله بعدها في نفس السورة: "يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنتَصِرَانِ (35)"(سورة الرحمن). فهل يعني ذلك أنه سبحانه أباح الصعود (يقصد: النفاذ المذكور في الآية) بسلطان العلم - كما تقولون؟ ولهؤلاء نقول: نحن نشكر لكم محاولة رَبْطكم للظواهر العلمية بما جاء بالقرآن، ولكن أين القمر بالنسبة لأقطار السماوات والأرض؟ إنه يبدو كمكان صغير للغاية بالنسبة لهذا الكون المُتَّسع، ولو كنت تقصد أن تربط بين سلطان العلم وبين القرآن، فعليك أنْ تأخذ الاحتياط، لأنك لو كنت تنفذُ بسلطان العلم لما قال الحق سبحانه بعدها: "يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ.. ". وإنْ سألتَ: وما فائدة إشارة الآية إلى السلطان، نجيب: قد جاءتْ لأن الرسول قد أخبر القوم أنه صعدَ إلى السماء وعُرِج به، أي: أنه صُعِد وعُرِج به بسلطان الله.

ويقول الدكتور/ زغلول النجار: نحن نحرص في التفسير العلمي على أن نوظف كل الحقائق العلمية المتاحة، ولكن بما أن العلم لم يصل لكل الحقيقة في كل أمر من الأمور، تبقى قضايا كثيرة عند حدود الظن، ويقف فيها العلم عند حدود النظرية أو الفرْض، فإذا لم يصل العلم إلي الحقيقة في قضية من القضايا التي تتعرض لها الآيات فأنا لا أرى ضيرا أبدا في توظيف النظرية السائدة أو الفرْضية السائدة حتى أفهم دلالة الآية، وإذا ثبت بعد ذلك أن النظرية كانت خاطئة فلا يمس هذا من جلال القرآن الكريم أو ينال منه في شيء؛ لأن التفسير عمل بشري قد يصيب فيه الفرد وقد يخطئ. وأمافي الإعجاز العلمي فلا يجوز أن نوظف النظريات والفرضيات، بل لا بد من توظيف الحقائق العلمية الثابتة القاطعة التي لا رجعة فيها، إلا في حالة واحدة وهى حالة الآيات التي تتحدث عن الخلق بأبعاده الثلاثة (الكون، الإنسان، الحياة) لأن الخلق عملية غيبية غيبا مطلقا لم يشهدها أحد من الإنس أو الجن، ولأنها لا تقع تحت إدراك الإنسان فلا يمكن أن يصل فيها بالعلم الكسبي إلى حقيقة أبدا، وهذه الأبعاد الثلاثة يدور فيها الإنسان في مدار النظريات. ويبقى للمسلمين نور من الله سبحانه وتعالى في الآية القرآنية أو في الحديث الشريف، ما يعيننا على أن نرجّح نظرية ونرتقي بها إلى مقام الحقيقة، لا لأن العلم الكسبي قد أثبت علميا أنها حقيقة ولكن لظهورها في كتاب الله أو سُنة رسوله؛ لأن الله هو خالق الكون وأدرى بصنعته من كل من سواه (الدكتور/ زغلول النجار: مرجع سابق، باختصار).

وهكذا لا يظهر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم إلا باليقيني الثابت من العلوم، لا بالفروض ولا بالنظريات التي هى محلّ فحص وموضع تمحيص، إن لم تكن عُرضة للإبطال مع تقدم العلوم وتطور أدوات وتقنيات البحث العلمي وتوالي الكشوف، وأما في التفسير العلمي فيمكن الاستعانة بالنظريات في فهم مدلول الآية

القرآنية، ومن المعروف أن التفسير متغير بمرور الأزمنة، بحسب المعطيات العلمية المتاحة في كل زمن.

(7) مراعاة تعدد معاني اللفظ الواحد:

من أهم سمات اللغة العربية - وهى لغة القرآن - ثراؤها في الألفاظ وفنون البيان والبديع والبلاغة، ومن خصائصها تعدد مدلولات اللفظ وكثرة معانيه، فهى لغة "متعددة الظلال"(Metaphoric language) فإذا أخذ أحد الأسلاف من العلماء (أو المفسرين) بمعنى معين فلا ضير على أحد من المحدثين أن يأخذ بمعنى آخر، يقصد به تعميق مفهوم اللفظ ، وبالتالي الآية التي ذكر بها. وهذا لا يعني إطلاقا الغض من قدر الأقدمين، فلكل رأيه بحسب الثقافة والمعطيات العلمية المتوفرة لجيله وكانت في عصره، واللفظ واحد باق. ونذكر هنا من أهم المعاجم اللغوية التي تسعف الباحث في هذا العمل الجليل: "لسان العرب" لابن منظور، و"بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" لمجد الدين الفيروزأبادي، وكذلك القاموس المحيط والمصباح المنير والمعجم الوسيط، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني .

ويجب أن يعلم القائم بمهمة إبراز جوانب الإعجاز العلمي للقرآن أن هناك فرقا بين معاني المفردات اللغوية حين تنزّل القرآن، وبين ما فهمه العرب والمفسرون منها عبر الدهور المتعاقبة، على نحو من مجازية الألفاظ مرة - حين تستعصي على أفهامهم حقيقتها - أو تمشيا مع ما أتيح لهم من معارف في أزمانهم مرة أخرى.

ولكي يظهر بيان القرآن يحتاج العلماء إلى ترجيح معنى على معنى في فهم الآية القرآنية، أو الكلمة الواردة بها، ويحتاج هذا الترجيح قرينة ذاتية أو خارجية، أو دليلا من السُنة أو فهم الصحابة. والترجيح متعدد الأنواع، ويصل أحيانا إلى

معنيين أو أكثر للكلمة القرآنية الواحدة، فاللغة العربية متعددة الظلال.والقرآن يفسره الزمان، أي يتجدد تفسيره على مرّ الزمان، ويجد فيه أهل كل عصر ما لم يتنبه له أهل ما سبق من العصور، نظرا لتطور العلوم والمعارف.

والخلاصة إن الآية القرآنية ترد بألفاظ محددة يَفهم منها أبناء كل جيل معنى من المعاني، وتظل هذه المعاني تتسع مع اتساع المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف التضاد.. ونحن مطالبون بتدبر القرآن امتثالا لأمر الله تعالى:"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24)"(سورة محمد)، و"أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيرا (82)"(سورةً النساء).. وبعبارة أخرى، نحن مطالبون بنص القرآن أن نفهم هذه الآيات ونتدبرها وألا نحفظها دون فهم، لنفهم الحقائق الكونية التي وراءها، لكن فهمها أو عدم فهمها فهذا لا علاقة له بإيمان القارئ.

(8) مراعاة تعدد المواضع:

ربما تحوي آية قرآنية واحدة ظاهرات كونية عديدة، وربما تأتي لقطات من الظاهرة الكونية الواحدة في آيات قرآنية متفرقة، إذن علينا عند عرض إعجاز القرآن في هذه الظاهرة أن نسلك أحد المسلكين أو كلاهما لنخرج باستنتاجات عامة، وهما (1) تشريح الآية الجامعة إلى ظواهرها (ظاهراتها)، ثم تناول كلّ على حدة من خلال تقصّي وبحث مواضع ذكرها في آيات أخر من القرآن، ومناسبة إيراد كلّ منها في موضعه، مع الربط بين الكلام في الظاهرة الكونية الواحدة، وبين السياق العام للآية..(2) أو أن نعرض كافة الآيات الواردة في ظاهرة واحدة ونقلّب فيها لإبراز أوجه الإعجاز الموجود بها، وذلك لوجود قاعدة عن المفسرين هى: القرآن يفسر بعضه بعضا.

وبعبارة أخرى، فإنه من الضروري عدم الاقتصار في فهم الآيات الكونية على آية واحدة فقط قد يخفى معناها على الناظر، ولا يتبين إلا في ضوء بقية الآيات الأخر الواردة في الظاهرة الكونية ذاتها في أنحاء متفرقة من سور القرآن. وعموما، فإننا ننصح أنفسنا وكافة العلماء، شرعيين وكونيين، باتباع ما هو معروف في منهج "التفسير الموضوعي"، إذ تُجمع فيه الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد وتُدرس أمام بعضها البعض. وهنا علينا أن نذكّر بقاعدة من قواعد "القراءة العلمية" لآيات القرآن العظيم وهى أن القرآن يفسر بعضه بعضا. علينا، إذن، استعراض الآيات التي تتحدث عن ظاهرة كونية معينة، أو مسالة طبية بعينها وعدم اجتزاء بعض الآية وإغفال البعض الآخر، واختيار الآيات ذات الإشارات العلمية المباشرة دون تمحّل أو ليّ عنقها لتوافق هوى الباحث. ومن الضروري مراعاة السياق القرآني للآية المتعلقة بإحدى القضايا الكونية، دون اجتزاء للنص عما قبله وعما بعده.

(9) التزام شروط التأويل ومخاطر التوسّع فيه:

يقول الراغب الأصفهاني (ت 502 هـ) في "جامع التفاسير": التفسير أعمّ من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجُمل. ونقل الأصفهاني عن غيره قولهم: التفسير هو بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا، وأما التأويل فهو توجيه لفظ - متوجّه إلى معان مختلفة - إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة. ونقل جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) (في كتابه "الإتقان في بيان علوم القرآن") قول أَبُو طَالِبٍ التَّغْلِبِيُّ: التَّفْسِيرُ بَيَانُ وَضْعِ اللَّفْظِ إِمَّا حَقِيقَةً، أَوْ مَجَازًا، كَتَفْسِيرِ الصِّرَاطِ: بِالطَّرِيقِ وَالصَّيِّبِ: بِالْمَطَرِ وَالتَّأْوِيلُ تَفْسِيرُ بَاطِنِ اللَّفْظِ مَأْخُوذٌ مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ الرُّجُوعُ لِعَاقِبَةِ الْأَمْرِ فَالتَّأْوِيلُ إِخْبَارٌ عَنْ حَقِيقَةِ الْمُرَادِ وَالتَّفْسِيرُ إِخْبَارٌ عَنْ دَلِيلِ الْمُرَادِ، لِأَنَّ اللَّفْظَ يَكْشِفُ عَنِ الْمُرَادِ وَالْكَاشِفُ دَلِيلٌ. ويقول السيوطي في

"الإتقان": التفسير هو كشف معاني القرآن الظاهرة، والتأويل ما استنبطه العلماء العارفون من المعاني الخفية والأسرار الربانية اللطيفة التي تحملها الآية الكريمة. وقال الماتريدي والفشيري وغيرهما: التفسير في معنى لا يحتمل غيره فهو قطع وشهادة على أن الله عنى باللفظ هنا، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بالدليل بلا قطع ولا شهادة.

ولقد أجمع علماء التفسير على أن الأصل في تفسير القرآن أن يقوم على ظاهر معنى ألفاظه، دون تأويل إذا لم يمنع منه مانع من العقل والشرع، وأما إذا منع من ظاهر المعنى مانع فهناك مذهبان في التفسير: أولهما مذهب السلف الصالح من علماء الصحابة والتابعين، وينص على الأخذ بظاهر المعنى والتصديق به مع تفويض معرفة حقيقته إلى الله تعالى. وثانيهما مذهب الخلف من العلماء الذين جاءوا بعد السلف الصالح، وقد رأوا باجتهادهم أهمية التأويل عند الضرورة منعا من الوقوع في التشبيه وقطعا لدابر كل شبهة قد تعلق بالقلوب بشأن صفات الله تعالى، بعد أن اعتنق الإسلام كثير من غير العرب. ومن هؤلاء العلماء: الطبري والغزالي والزمخشري والرازي والسيوطي وغيرهم كثير

هذا، ومن أسباب الإغراق في التأويل والمجاز لتحميل النظريات العلمية على الآيات القرآنية اعتقاد بعض الكُتاب- وخاصة بمصر وإيران في القرن الأخير- في قطعية نظريات العلوم التجريبية، ومن هنا سعوا إلى البحث عن آيات توافق هذه النظريات والقوانين العلمية، فإذا عجزوا عن ذلك لجئوا إلى التأويل أو المجاز أو التفسير بالرأي، وتحميل الآيات على خلاف معانيها الظاهرة. وأدى هذا الأسلوب في التفسير العلمي إلى سوء ظنّ بعض العلماء المسلمين بمطلق التفسير العلمي، ونبذوا التفسير العلمي بجميع أنواعه بوصفه تفسيراً بالرأي وتحميل النظريات على القرآن.. وفيما يتعلق بهذا الأسلوب من التفسير العلمي فإن الحقّ مع المخالفين له

والمعترضين عليه؛ إذ يتعيَّن على المفسِّر أن يكون خالي الذهن عند التفسير من أيّ نوعٍ من أنواع الأحكام المسبقة؛ كي يتمكن من تقديم تفسير صحيح، وإذا عمل على اختيار نظرية علمية، ثم حملها وأسقطها على القرآن، فإن هذا سيدخله في دائرة التفسير بالرأي المذموم، الذي ورد الوعيد عليه بالعذاب في الروايات (الدكتور/ محمد علي رضائي الإصفهاني: الإعجاز والتفسير العلمي للقرآن. منشور بالموقع الإلكتروني لمركز البحوث المعاصرة، بيروت (نصوص معاصرة)، ترجمة: حسن علي مطر الهاشمي. أبريل 21, 2020م). ومن أمثلة الإغراق في التأويل والإسراف في المجاز ما قام به عبد الرزّاق نوفل- رحمه الله- عند تفسير قول الله تعالى:"هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا (189"(سورة الأعراف)، حيث فسَّر "النفس" بأنهاتعني البروتون، وفسَّر "الزوج" بأنه يعني الإلكترون، وقال: إن المعنى الحقيقي لهذه الآية: (هو الذي خلقكم من بروتون وإلكترون)، وهما الجزء الموجب والجزء السالب في الذرّة، التي تتألف منها جميع الكائنات في هذا العالم(عبد الرزاق نوفل: القرآن والعلم الحديث. دار الكتاب العربي، 1984م).وفي هذا التفسير تمّ تجاهل حقّ المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة النفس.

ويقول خالد عبد الرحمن العك: يجب أن تكون دلالة ظاهر الآية القرآنية على مسائل العلوم التجريبية واضحة جداً، ولا يكون في الأمر تحميل على الآية أبداً، بمعنى أننا في التفسير العلمي يجب أن نلاحظ التناسب بين ظاهر الآية والمسائل العلمية مورد البحث، بحيث تكون معاني ألفاظ وعبارات الآية منسجمة ومتناغمة مع المسائل العلمية، ولا يكون في البين أيّ تحميل للرأي على الآية. وبعبارةٍ أخرى: أن نسلك في التفسير العلمي منهجاً بحيث لا تُلجئنا الحاجة إلى التبريرات والتفسيرات المخالفة لظاهر الآية (خالد عبد الرحمن العك: أصول التفسير وقواعده، نشر دار النفائس، 1406هـ/ 1986م).

والخلاصة هى تأكيد عدم العدول عن الحقيقة إلى المجاز في فهم الآيات الكونية الواردة في القرآن، إلا إذا قامت القرائن الواضحة التي تمنع من حقيقة اللفظ وتحمل على مجازه، فحينئذ يكون قيام هذا الدليل قرينة دالة لنا على أن معناه الظاهر غير مراد الشارع الحكيم، بل مراده معنى آخر غير ما يتبادر منه، فنؤوّل النص حينئذ ونصرفه إلى معنى آخر غير الظاهر المتبادر على سبيل الاحتمال، يكون قابلا له وغير منقض لذلك الدليل العقلي القطعي. وهذه هى القاعدة الكلية التي اعتمدها أهل السنة والجماعة في تأويل النصوص الشرعية، لأن الأصل في التخاطب إرادة المعنى الظاهر المتبادر دون خلافه، إذ إرادة غير الظاهر من غير داع ولا قرينة يكون خللا في الإفادة والاستفادة، وفي ذلك من المفاسد ما لا يخفى.

(10) مخاطر استخراج جميع العلوم من القرآن الكريم في زمن واحد:

بذل أنصار التفسير العلمي من المتقدِّمين (من أمثال: محمد بن أبي الفضل المرسي وأبو حامد الغزالي وغيرهما)جهوداً كبيرة لمحاولة استخراج جميع العلوم من القرآن؛ لقناعتهم بوجود كل شيء في القرآن،انطلاقا من قول تعالى: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ (89)"(سورة النحل)،فكانوا يذكرون الآيات التي ينسجم ظاهرها مع بعض النظريات العلمية. وكلما وجدوا شُحّاً في ظواهر الآيات لجئوا إلى التأويل وإرجاع ظواهر الآيات إلى النظريات والعلوم المنشودة. ومن هنا عمدوا إلى استخراج علم الهندسة والحساب والطبّ والهيئة والجبر والمقابلة والجَدَل من القرآن الكريم. وعلى سبيل المثال: استخرجوا علم الطب من قول الله تعالى، حكايةً عن إبراهيم عليه السلام، إذ يقول: "وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80)"(سورة الشعراء) (أبو حامد الغزالي: جواهر القرآن، تحقيق: الدكتور/ محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت ط2، 1406 هـ - 1986م)؛ وعلم الجبر من الحروف المقطَّعة في بدايات بعض السور(محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة بالقاهرة، طبعة

سنة 2000م، نقلاً عن: أبي الفضل المرسي)، وتوقَّعوا حدوث زلزال عام 702هـ/ 1303م(بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: المرعشلي وآخرون، طبعة دار المعرفة بيروت) من قوله تعالى: "إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1)"(سورة الزلزلة)، وكان أخطر كارثة طبيعية ضربت مصر في عصر المماليك.ومن الواضح أن هذا النوع من التفسير العلمي يؤدّي إلى الكثير من التأويلات (المذمومة) في آيات القرآن، دون رعاية للقواعد والمعاني اللغوية (الدكتور/ محمد علي رضائي الأصفهاني: مرجع سابق، بتصرّف). ولذلك، ذهب الكثير من المعارضين للتفسير العلمي إلى اعتباره نوعاً من التأويل والمجاز(الدكتور/ محمد حسين الذهبي: مرجع سابق).

قال الشيخ/ محمد هادي معرفة في هذا الشأن: هناك مَنْ يتصوَّر اشتمال القرآن على جميع أسس العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية، وحتى الفروع الصناعية والاكتشافات العلمية، وغيرها.ثم طرح سؤالا: كيف ومتى تمّ استخراج جميع العلوم والصناعات والاكتشافات الكثيرة، والتي تزداد يوماً بعد يومٍ، من القرآن الكريم؟ ولماذا لم يتوصَّل المتقدِّمون إليها، ولم تحْظَ باهتمام المتأخِّرين؟ ثم بين مدلول الآيات التي استندوا إليها، قائلاً: إن قوله تعالى: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ (89)"(سورة النحل) إنما هى في مورد البيان الشامل لأحكام الشريعة(محمد هادي معرفة: مرجع سابق).وهناك من المفسِّرين مَنْ صرّح بأن الآية 89 من سورة النحل تعني المسائل والأمور المتعلقة بالهداية، ومن هؤلاء المفسِّرين: جار الله الزمخشري في تفسيره"الكشاف".

(11) السبق العلمي للآية وحده غير كاف للاستدلال على إعجاز القرآن:

وامتدادا للبند السابق، فإنه ينبغي على الباحثين الغيورين أن لا يعقدوا سباقا بين آيات القرآن وبين علوم البشر وكشوفهم العلمية، ذلك لأن ما ألمح به القرآن إنما هو

أمور كلية خالدة خلودا أبديا، وأما علوم البشر وكشوفهم فهى لا تعدوا أن تكون لمحات يسيرة من علم الله الشامل الكامل، فإذا قلنا إن القرآن كتاب لم يفرّط في كبير ولا صغير من أمور الحياة، ثم جمعنا الهمّ وعقدنا العزم على تأكيد السبق العلمي في القرآن مستعملين ذلك سلاحا لإقناع العقول المادية الحديثة، فإننا إذا استعملنا هذه الوسيلة وحدها واعتمدناها بمفردها فلا مناص من الوقوع في مزالق، ولا خلاص من زلات يهوي فيها العالم المسلم، لأننا بذلك نتعرّض لإدخال كتاب الله في تفصيلات ما أرادها الله حينما أنزل هذا الكتاب. ونحن مع الذين يقولون بأن النبي صلى الله عليه وسلم ما بعثه الله ليوضح قوانين الطفو أو يُخبر عن دوران الأفلاك ونُظمها، أو ينبئ عن انشطار الذرة وارتياد الأجواء. وإنما بُعث الرسول صلى الله عليه وسلم لهداية البشر جميعهم، ويقوم بهذه المهمة من بعده ورثته من العلماء الأجلاء على مرّ الأيام حتى تقوم قيامة العالم وتنتهي دنياه. ولكن تبقى مهمة إجلاء الجوانب العلمية للآيات الكونية مسئولية أولي العزم من العلماء المسلمين.

(12) عدم الجزم أو الحصر بما يسطره أو يتكلم به الباحث:

يجب التأكيد على ألا يكون كل استشهاد بالعلوم الحديثة أو كل استعانة بها لتعميق مفهوم الآية، بصيغة الجزم أو الحصر، وإنما بصيغة الاحتمال أو الإئتناس. وسيأتي بيان هذا في الجزئية الأخيرة من هذه الضوابط، إن شاء الله. وبعبارة أخرى، ينبغي ألا نقطع برأي في تفاصيل ما يعرض له القرآن من الكونيات إلا إن كان لنا عليه دليل وبرهان لا شك فيه ولا نكران، وإلا وجب أن نتوقف عن هذه التفاصيل (محمد عبدالعظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، 2015م). إن هذه البحوث والدراساتيجب ألا تذكر على أنها هى التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه، بل تذكر لتوسيع المدلول، وللاستشهاد بها على وجه لا يؤثر بطلانها فيما بعد على قداسة النص القرآني.

(13) الإلمام بالوحدة الكلية للقرآن:

ينبغي للباحث أن يعلم الوحدة الكلية للقرآن أولا، ثم عمود السورة التي يبحث إحدى آياتها، ثم يتنبه إلى السياق العام للآية، وبالتالي يبتعد عن خطورة اجتزاء الآية من سياقها بالسورة القرآنية. أصدر المعهد العالمي للفكر الإسلامي كتاب "كيف نتعامل مع القرآن؟" (الشيخ محمد الغزالي: كيف نتعامل مع القرآن؟ المعهد العالمي للفكر الإسلامي (فرع القاهرة)، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي (5)، ط2، 1992م)، وقد قدم له الدكتور/ طه جابر العلواني، وفي تقديمه قال: لقد استمد العلماء - كل في تخصصه - معارف مختلفة من القرآن الكريم، واستندوا في ذلك على أفهامهم، وعالجوه بطرائق مفهومية شتى، وذلك تبعا لحالات التطور الفكري في سياق التاريخ البشري، فالذي يقرأ القرآن في إطار وحدته الكلية غير الذي يقرأه قراءة انتقائية تسلخ الآيات عن سياقها الكلي.. كما أن الذي ينظر إليه قصصا وتشريعا وترغيبا وترهيبا غير الذي ينظر إليه جامعا شاملا خالدا عابرالحدود الزمان والمكان، يغطي الوجود الكوني كله، باعتبار أن القرآن هو المعادل الموضوعي في الوعي للكون وحركته وعلاقاته، وعبر استمرارية وتغيرات الزمان والمكان. ويواصل العلواني كلامه فيقول: خصائص القرآن عديدة، ويمكن تلمّسها في وحدته الكلية المنهجية خاصة في ترتيبه التوقيفي، فيما تجاوز مرحلة النزول المجزأ أو المرتبط بالمناسبات، فصار لكل سورة عمودها وهدفها الأساسي، ووضوح المحور الكلي للقرآن العظيم في وحدته الكلية.. كما يمكن تلمسها في الحفظ الإلهي، وتجدد العطاء وتكشف المكنون تبعا للاستدعاء الزماني، فهو المهيمن على الزمان والمكان والمتغيرات، بما يمنحه من وعي كامل للوجود الكوني وحركته وعلاقته، إنه وعي الكون كله بما فيه مدركا بكلمات الله، فلا يمكن للماضي أو الحاضر أو المستقبل أن يحيط بوحي الكتاب مطلقا، وإنما

يأخذ منه ما يستدعيه عصره بنسبية الظرف التاريخي ومتعلقاته الاجتماعية والحضارية وعبر طرائق فكره.

(14) عدم بحث الأمور المتعلقة بالغيب المطلق والحياة الآخرة:

يجب التنبيه على أن البحث في الإشارات العلمية للآيات القرآنية إنما يتناول فقط ما يجري في الحياة الدنيا إلى ما قبيل يوم القيامة الكبرى، وهذه قاعدة من قواعد المنهج العلمي الذي ينبغي إتباعه. وبعد قيام القيامة، فإن أمور الحياة الآخرة لها قوانين ونواميس مختلفة عنها في الدنيا، وما ذكر فيها من ألوان أو أشكال أو طعام أو شراب إنما هو للترغيب أو الترهيب أو لتقريب فهم الناس لها، ومن ثم فإننا يمكننا أن نتلمس فيها ما يعين على فهم الأشياء في الدنيا.

ولا يجوز بحال من الأحوال الخوض في قضايا غيبية، كالذات الإلهية والروح والملائكة والجن وغير ذلك، بل التسليم بالنصوص الواردة والإيمان بها ؛ لأن الإنسان مهما بلغ من العلم عاجز عن الوصول إليها، كما أن لتلك الغيبيات سننا وقوانين أخروية مغايرة تماماً لقوانين الدنيا (الدكتور/ عبدالسلام اللوح: مرجع سابق).

وإذا كان الإسلام قد فتح أبواب العلوم والمعارف للإنسان على مصاريعها، فإنه حظر عليه مجالاً واحدا فقط هو (مجال الغيب)، وهو ما يغيب عن الحس، أو ما يغيب عن العقل، فلا الحس يدركه بحواسه، ولا العقل يصله بأدواته. وأمثلة المغيبات عن حس وعقل الإنسان، مهما أوتى من علم، كثيرة، فمثلا لا يستطيع الإنسان أن يحدد بالقطع متى يموت، ولا يستطيع كذلك أن يحدد لجنين في بطن أمه أجله وأحواله وخريطة حياته بعد الولادة، ماديا أو معنويا، ولا يستطيع أن يعلم من الغيب إلاّ ما أنعم الله به عليه ، فمكّنه من توفير الأسباب المؤدية إليه، كالأجهزة

والتقنيات الحديثة. وهذا هو الغيب النسبي (الدكتور/كارم السيد غنيم: الرؤية الإسلامية للأمور الغيبية. مجلة هدى الإسلام (عمّان) 28(1) 1404هـ/1984م). وأما ذروة الغيب المطلق فهى العلم بحقيقة الذات الإلهية، ومنه أيضا: العلم بحقيقة الروح، وعلم الساعة. ولدينا آية في القرآن العظيم توضح أنواعا أساسية للغيب المستور هى الآية التاسعة والخمسين في سورة الأنعام، قول الله تعالى: "وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ". وعن ابن عباس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مفاتح الغيب خمسة) صحيح، رواه البخاري ومسلم في صحيحيْهما عن ابن عباس، وتلا قول الله تعالى:"إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ{34}"(سورة لقمان).

وقبل أن نمر على مفاتح الغيب الخمس في هذه الآية، نؤكد أن العلم بحقيقة الذات الإلهية المقدسة، المتعالية على المخلوقات، المتصفة بكل كمال، المنزهة عن كل نقص، إنما هو أبعد ما يكون عن إدراك الإنسان. يقول العلامة الدكتور/ يوسف القرضاوي: دعا القرآن العقل إلى الاعتراف بقصوره الذاتي عن إدراك حقيقة ذات الله تعالى. بحسبه أن يدرك وجوده تعالى ووحدانيته، ويدرك تفرّدُه بالكمال الأعلى، وروعة تدبيره لهذا الكون، واتصافه بالعلم والحكمة، والمشيئة والقدرة والعزة والرحمة، ونحو ذلك من صفات الكمال اللائقة بذاته تعالى.أما ما عدا ذلك، فالعقل الإنساني أعجز من أن يحيط به، ويدرك كُنْهه، ولا عجب في ذلك، فقد ثبت عجز الإنسان عن "معرفة الكُنْة" لكثير من الأشياء من حوله، فهو يعرف آثارها ولا يعرف حقيقتها، وأبرز مثال لذلك هو: الحياة النفسية، التي لا يعرفها إلاّ بآثارها (الدكتور/ يوسف القرضاوي: العقل والعلم في القرآن

الكريم. مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط1، 1422هـ/2001م). وأما العلم بحقيقة الروح، فهو أيضا مما استأثر الله تعالى به، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، فنزل الوحي بقول الله تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً{85}"(سورة الإسراء).وللروح معان عديدة، من أرجحها عند المفسرين هو الروح الإنساني، أيْ الروح التي بها يكون الإنسان إنسانا. وإذا كان الحديث عن الروح جائزا، فإن مما لا طائل من ورائه أن يبحث الإنسان عن جوهر الروح، فهذا ما حاول الإنسان، وسيظل يحاول، طمعا في الوصول إليه، دون جدوى .

ويبقى الغيب النسبي هو المجال الذي يسعى فيه الإنسان، فالميكروبات قديما كانت غيبا، فاخترع الإنسان مكبرات الرؤية فرآها، والتعرف على نوعية الجنين في بطن أمه، ذكرا أم أنثى، كان غيبا فاخترع الإنسان أجهزة تعرف بواسطتها على نوعيته. وهناك من الغيب ما يشاء الله أن يظهره على أيدي خلقه، أو يجريه على أيدي عباده الصالحين وأنبيائه ورسله، ولكن يبقى الاعتراف الدائم والتسليم المطلق لله، وأفضل المتأدبين مع الله هو خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال الله له: "قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ{188}"(سورة الأعراف).

بقي لنا في جانب الأمور الغيبية أن نقول: كيف أن الإيمان بالغيب ضرورة عصرية؟ إن الإيمان بالله ذاتا وصفات وأفعالا دون أن نراه، والإيمان بمخلوقات الله كالملائكة والجن دون أن نراها، والإيمان بالكتب والرسالات السماوية دون أن نرى نزولها أو نعاصر عهودها، والإيمان بالقيامة والآخرة والبعث والنشور والجزاء والعقاب والجنة والنار. وغير ذلك من الأمور المغيبة عنا، كل ذلك من الأمور التي لا

بد من التصديق بها لكل ذي عقل راجح ونفسية سوية.وإذا كان الإيمان بالغيب أصلا من أصول الفطرة الإنسانية، فإنه في عصر التقدم العلمي، وفي عالم المدنية المعاصرة، أشد طلبا وأعظم خطرا، وفي حياة البشر وسلامة النفوس مما يعتريها من جنون وصرع وأدواء تتولد يوما بعد يوم، فإذا كان عصرنا هو عصر الفتوحات العلمية والكشوف الكونية، فهو العصر الذي تاه في العلماء عبر سنين مضت بين التحدي للقدرة الإلهية والاختيال بقدرات العقل البشري، فكان ما كان من الأمراض بكل أنواعها: نفسية وجسدية وعقلية، والمشكلات بكل أنوعها: اجتماعية واقتصادية وصراعات سياسية، والقلق والاضطراب الذي يسود كل ناحية في عالم الأرض اليوم، وليعلم علماء الكشوف العلمية ورجال البحوث المدنية أن في العالم أمورا لن يستطيعوا سبر أغوارها ولا معرفة كنهها، إلا أننا نعيد الإشارة إلى أن النتائج العلمية ضرب من ضروب الغيب الذي أذن الله بانبلاجه فانبلج على أيدي الباحثين، وحكمة الله تقتضي ذلك خدمة للبشر واستمرارا لصالح الإنسان، وكل ما تأذن القدرة الإلهية بكشفه إنما يعد من عالم الشهادة إثر ظهوره.ومع كل ذلك ستظل حقائق الأشياء الغيبية تتحدى العقول البشرية إلى أبد الآبدين.

(15) الحذر من الإغراق فيالتفسير العلمي للمعجزات الوارد ذكرها في القرآن:

بالنسبة للمعجزات الحسية وخوارق العادات التي وقعت للأنبياء، يجب الانتباه إلى وجوب أدب العالم المتخصص معها، فلا يترك العنان لقلمه فيسطر ما يراه تعليلا لحدوث المعجزة، فالمعجزات لا يمكن تعليلها أو تفسيرهاعلميا. نعم،المعجزات لا يمكن للعلم أن يفسرها،لأنها أعلى من نطاق العلم، كأن يُدخل إنسانٌ في النار فلا يحترق، كما حصل مع إبراهيم عليه السلام حين أوقد الكفرة نارا بأيدهم لإحراق إبراهيم، وكان يمكن ألا يتمكن أعداؤه من القبض عليه أو يتمكن من الهرب أمام النار، أو تطفأ بمطر مثلا: "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ{69} وَأَرَادُوا بِهِ

كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ{70}"(سورة الأنبياء). أو يُضرب البحر بالعصا فينقسم إلى فرقتين، كما فعل موسى عليه السلام: "فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63)"(سورة الشعراء). أو ينشقّ الجبل فتخرج منه ناقة، كما حصل مع صالح عليه السلام: "وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73)"(سورة الأعراف). أو يمسك إنسانٌ بعصا فتتحول إلى أفعى، كما فعل موسى عليه السلام مقابل إيهام سحرة فرعون الناس بتحويل عصيّهم حيّات: "قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى{68} وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى{69} فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى{70}"(سورة طه). أو يفهم إنسان كلام الحيوان والحشرات، كما حصل مع سليمان عليه السلام: "حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18)"(سورة النمل). فهذه كلّها معجزات أو أمور خارقة للعادة، ولا يمكن للعلم أن يُفسّرها.. وكانت هذه المعجزات الحسية والخوارق أدلة لإثبات صدق الأنبياء والمرسلين أمام الناس في عصورهم، وقد أيدهم بها الله سبحانه وتعالى. وكانت معجزاتٍ حسّية تُشاهَد بالعين.

والموقف من هذه المعجزات وخوارق العادات هو التصديق فقط، ما دامت قد وردت في القرآن الكريم، كلام العزيز المنان، المنزّه عن الزيادة والنقصان، المعجز في كل وقت وآن، الصالح لكل زمان ومكان، المنزّل لصالح البشر وهداية الإنسان. ومن المعلوم أن إيمان المسلم لا يكمل إلاّ مع التصديق بالأمور الغيبية، ومنها المعجزات التي وقعت في الماضي، وهى خرق للنواميس الكونية، فالذي وضع النواميس هو الله وحده، وهو وحده القادر على خرقها. ونحن المسلمين نصدق بكل

ما ورد في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الصحيحة، من معجزات وخوارق، لم نرها أو نعاين حدوثها.

وعلى الرغم من ذلك، فإن بعض العلماء يقول: المعجزات محارة الأفهام وليست محالة الإفهام، ولو كانت لا تفهم لما علم الناس قيمتها وقدرها. كما ذهب إلى هذا الأستاذ/ هشام الطويل (في مقالة منشورة بصفحته الشخصية بموقع فيسبوك، الإنترنت)، ونحن نسوق هنا ابرز ما قاله- بعد تصويب بعض اللغويات وتنقيح بعض العبارات، وإضافة بعض الآيات- إذ يقول- حفظه الله: إن تقريب الصورة للأذهان (لا تجريدها ولا تحديدها) لا ينتقص من حقيقة الأشياء. بل إن من قرّبت له الصورة أولى بالتصديق ممن لم تقرب له. ثم يضرب أمثلة لعدد من المعجزات المثبتة في القرآن الكريم، فيقول:.. وكما أن المعجزات أمور خارقة لعادة الناس- مع التعجيز للمعارضة- فهي كذلك:

(1) من جنس ما يألف الناس، وإلا ما فهموا عظمتها، ومثال هذا تحويل عصا موسى عليه السلام مقابل إيهام سحرة فرعون الناس بتحويل عصيّهم حيّات، وقد ورد هذا في القرآن الكريم: "قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى{68} وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى{69} فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى{70}"(سورة طه).

(2) قد تقع المعجزات بأدوات يستخدمها الناس، كعصا موسى في ضربه البحر بها لينفلق، وكان يمكن أن ينفلق بدونها.. وهذا من تمام التعجيز، فليذهب أقوى الناس بأغلظ عصا لخليج السويس (بمصر) ويضربه، ولينظر ارتفاع المياه التي أزاحتها ضربته.. وقد سجل القرآن الكريم هذه الحادثة المعجزة: "فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63)"(سورة الشعراء).. وكإيقاد النار التي أراد أعداء إبراهيم عليه السلام إحراقه فيها، وكان

يمكن أن تكون نارا طبيعية كنار صاعقة، لكنهم هم الذين أوقدوها بأيديهم.. وقد سجل القرآن الكريم هذه الحادثة المعجزة: "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ{69} وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ{70}"(سورة الأنبياء)..

(3) وقد تقع المعجزة بآليات كونية مما ألفه الناس، مع الفارق الرهيب في قوة الأثر بين المألوف والمعجزة، فحين تسقط صخرة أو يضرب شخص مياها محصورة (كخليج)، فإن الآليات والسنن الكونية تقول إن المياه ستحدث لها إزاحة.. ولكن إلى أية ارتفاع؟! إذن، حين نعلم أن معجزة قد حدثت بآليات مما أثبته العلم القاطع، فهذا تأكيد لكونها من نبي.

(4) من تمام المعجزة ألا تأتي إلا في أوضح حال، كحشر الناس ضحى في يوم إجازة (يوم الزينة) لموسى عليه السلام.. وفي أصعب وأضيق وأبعد احتمال، كنجاة إبراهيم من الحريق.. وكان يمكن ألا يتمكن أعداؤه من القبض عليه أو يتمكن من الهرب أمام النار أو تطفأ بمطر مثلا، وكنجاة إسماعيل من الذبح، وكان يمكن أن يرى أبوه ليلتها رؤية تمنعه، أو يأتيه ما يمنعه من الخروج من منزله يومها، ولكن يتم الأمر حتى نهايته ويرقد الذبيح وجهته تجاه التل الذي تمت الحادثة فوقه ولا تذبح السكين: "فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ{103} وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ{104} قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ{105} إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ{106} وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ{107}"(سورة الصافات).

(5) وقد يكون التحدي في مجال إبداع القوم المرسل إليهم، كبلاغة القرآن أمام فصاحة العرب، وأعمال موسى أمام إبداع سحرة مصر).. ولكن هذا ليس بالمطلق.. (ا.هـ)

وعموما، فإنه ينبغي ألا نسرف في الكلام حول المعجزات التي وقعت للأنبياء،وكذا المعجزات الحسية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بالرغم من كثرتها

وثبوت وقوعها، ويجب علينا ألا نعول عليها كثيرا في إقناع غير المسلمين برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنها معجزات وقعت في زمانها وانقضت، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التعلق بهذه المعجزات المادية، وأمرنا بالانتباه إلى معجزة واحدة باقية على مرّ الزمان هى القرآن الكريم، هذا الكتاب الذي تنكشف وجوه الإعجاز فيه على مرّ الزمان وتتابع الأجيال، وكل جيل يكشف عن وجه أو وجوه فيه لم يكن قد كشفها الجيل السابق . ومع ذلك فقد أيَّد الله رسوله محمدا بالمعجزات الحسية التي لا تكاد تُحصى، ومنها "الإسراء والمعراج" بشقيْها الأرضي: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (1)" (سورة الإسراء)، والسماوي: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى(2) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18)"(سورة النجم). ومنها معجزة انشقاق القمر، وقد دلّ على هذه المعجزة قول الله تعالى: "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ(1) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (2)"(سورة القمر). ويجب التذكير بحدث وقع في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم هو كسوف الشمس عندما مات ابنه إبراهيم، فقال الناس: لقد انكسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته) .

وخلاصة القول إن هذه المعجزات حين نناقشها، فإنما نناقشها لإثبات استحالة وقوعها لبشر عادي، بكل المقاييس العلمية، وإلا انتفت صفتها كمعجزات، ولأمكن للإنسان العادي أن يحققها عن طريق استخدامه لأية طاقات أو بواسطة سُبل يخترعها العلماء.

(16) توفرالإخلاص والموهبة لدى الباحث:

تدفع المنهجية الحالية إلى النزاهة والحيْدة المطلقة عند الباحث وعدم التحيز لفكرة أو رأي ينتج عنه تحميل النص ما لا يحتمله، وتحثه على الإخلاص المحض، في بحث ودراسة هذه الآيات. وقد أكد الإمام جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) علم الموهبة، وبيّن الطريق إلى تحصيله والأسباب الموجبة له، فقال في كتابه "الاتقان في علوم القرآن": (اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا تظهر له أسراره، وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حبّ الدنيا، أو وهو مصرّ على ذنب، أو غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على قول مفسّر ليس عنده علم، وهذه كلها حُجُب وموانع بعضها آكد من بعض).كما يحرز المرء هذه الموهبة بصحة القصد وسلامة النيّة وتنقية الضمير وتزكية النفس وتطهير القلب، وعند ذلك سيُلقي الله تعالى في روعه معاني لا يستطيع غيره أن يستلهمها، مصداقا لقول الله تعالى:"والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبلنا وإن الله لمع المحسنين (69)" (سورة العنكبوت)، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم).

(17) عمل الفريق هو الأكثر نفعا:

باختصار شديد، يجب ألا تفسر آية كونية في القرآن إلا من طريقين: الطريق الأول: المتخصصون في الدراسات الطبيعية (الكونية). الطريق الثاني: المتخصصون في الدراسات التفسيرية. وذلك من خلال فريقعلمي يضمالصنفين من العلماء، بحيث

يضع الطبيعيون الحقائق العلمية التي توصلت إليها العلوم الحديثة، ومن ثم يضع المفسرون التفسير الذي يتوافق مع القرآن الكريم، مع اعتبار الضوابط الأخرى المذكورة سابقًا، إلا إذا كان العالم بالعلوم الكونية ممن يجمع بين علوم القرآن وعلوم الكون، فيمكنه في هذه الحالة تفسير الآيات إذا كان أهلًا لذلك.

مزايا دراسات التفسير العلمي والإعجاز العلمي:

(1) فقه الكون والظواهر الكونية وتخليص الناس من الأوهام المتعلقة بها:

لقد تفرّد القرآن العظيم بين كافة الكتب السماوية بالحضّ على دراسة علوم الكون جميعها، وجعل هذا واجبا دينيا على القادرين من المسلمين، وذلك ليحرر العقول من أوهام الخرافات، وأباطيل الأساطير والحكايات التي تحاك حول الظواهر والموجودات، والأحداث والكائنات: "قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ (101)" (سورة يونس). وعلينا نحن المسلمين أن نأخذ بمستجدات العلوم الحديثة لخدمة تفسير القرآن العظيم وتوضيح السُنة المشرّفة، فالحكمة ضالة المؤمن أنىّ وجدها فهو أحق بها. وعلينا أن ننبّه إلى أوّل وأهم مقومات الحضارة التي طال هجرانها لمهدها، وهو أرض الإسلام، وهو فقه آيات الله في الكون، وهو الفقه الذي إن لم يكن يسبق فقه الآيات التشريعية، فلا أقل من أن يرافقه، إذ الآيات الكونية في القرآن هى مدار إثبات وجود الله سبحانه ووحدانيته، ومظهر كثير من صفاته العلمية التي لا نهاية لكمالها، كالقدرة والعظمة والرحمة والحكمة، ودلالاتها على ذلك كله: قطعية برهانية.

ويقول الشيخ/ عبد المجيد الزنداني في مزايا دراسة الإعجاز العلمي بالقرآن: تصحيح الكتاب والسنة لما شاع بين البشرية في أجيالها المختلفة من أفكار باطلة حول أسرار الخلق (كما كان شائعاً مثلاً بين علماء التشريح من أن الجنين

يتولد من دم الحيض في المرأة, وقد استمر هذا الاعتقاد حتى القرن السادس عشر الميلادي)، لا يكون إلا بعلم من أحاط بكل شئ علماً. وكذلك سنّ التشريعات الحكيمة التي قد تخفى حكمتها على الناس وقت نزول القرآن, وتكشفها أبحاث العلماء في شتى المجالات (مثلما كشفه العلم الحديث من حكَم في تحريم أكل لحم الخنزير)(عبد المجيد بن عزيز الزنداني: المعجزة العلمية في القرآن والسنة. المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. إسلام آباد/ باكستان، 1407هـ / 1987م)..

(2) تعزيز إيمان المسلمين وحمايتهم من الغزوات الفكرية:

إن بحث الإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم يعزِّز إيمان المسلمين (وهذه عملية التثبيت)، وتأتى ضرورة الكشف عن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم كخطوة على طريق تجديد إيمان المسلمين به وحمايتهم من أخطار الغزوات الكفرية، وما أشد حاجة المسلمين اليوم إلى ذلك، فقد تكاثرت عليهم الشبهات ودخلت عليهم تعاليم غير إسلامية في الاجتماعات والطبيعيات، وهنا يأتي دور الإعجاز العلمي في تجديد الإيمان وتثبيت قلوب الفتية والشباب عليه (دكتور/ محمد إبراهيم شريف: هداية القرآن في الآفاق والأنفس، بدون جهة نشر، 1986م). وبعبارة أخرى، فإنه عندما يثبت أن القرآن يحتوي إشارات علمية تقدَّم بها على اكتشافات ومعطيات العلوم التجريبية بقرونٍ يرتفع الرصيد الإيماني بين المسلمين، ولاسيَّما بين الشباب منهم، كما سيؤدّي ذلك بالمخالفين إلى الإذعان والإقرار بعظمة القرآن.

(3) تحفيز المسلمين إلى ولوج مجالات البحوث الكونية:

كرّم القرآن الكريم العقل وحث على العلم والتعلم وأعلى من شأن الفكر، وخلّص البشرية من الخرافات والأساطير والكهنوت التي أغرقت فيها الحضارات السابقة

على الإسلام. وبالنظر والتدبر في الآيات القرآنية التي وردت بها الإشارات العلمية نرى أنها تختم بهذه الجُمل الهادفة: ". فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ{185}"(سورة الأعراف), ". لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ{2}"(سورة الرعد), ". لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ{21}"(سورة الروم), ".لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {67}"(سورة النحل). فهذه الجمل القصيرة توضحُ أهداف الإشارات العلمية القرآنية، وأن الحقيقة العلمية التي تشير إليها الآية ليست لذاتها، ولكن لهدف أسمى هو الإيمان بالله ووحدانيته وقدرته، وبالدعوة الإسلامية ومبادئها وقواعدها، والتعقل في فهم وجود الإنسان في الكون، والتعمق في العلوم الكونية وتعقلها والتفكر فيها (مدحت حافظ إبراهيم: الإشارات العلمية في القرآن الكريم . مكتبة غريب بالقاهرة , ط1 , 1993م).

وكان هذا الكتاب المجيد هو الدافع وراء إرساء المنهج العلمي التجريبي في التفكير، وهذه نقطة انطلاق رئيسة في تقدم العلوم. لقد وردت الإشارات العلمية في آيات الكتاب العزيز تحفيزا وتشجيعا للمسلمين على البحث العلمي في كافة النواحي واعتبار التفوق العلمي نمطا من أنماط العبادة. فكانت هذه دوافع لعلماء المسلمين الأوائل، أمثال ابن الهيثم وابن حيان والبيروني، للتعمق في فهم هذه الإشارات العلمية القرآنية وسبر معانيها المتنوعة، وكان ذلك من أسباب إبداعهم في كافة العلوم وتشييد حضارة سامقة دامت لقرون طوال.

(4) فهم الآيات القرآنية بشكل أفضل:

الإشارات العلمية في القرآن الكريم ستبقى معينا فياضا يحتاج إلى من يغترف منه ويبحث عن كنوزه إلى ما شاء الله. وقديما وجد المسلمون أن بعض الإشارات ذات معان ظاهرة مباشرة ويستطيعون فهمها بسهولة لأنها تتمشى مع أفكارهم عن الكون وظواهره، ففسروها على أساس المعارف السائدة في أزمنتهم، واتضح فيما بعد أن هذه الإشارات أعمق بكثير مما كانوا يظنون، وذلك بعد أن كشف الإنسان عن

حقائق علمية جديدة في مشواره العلمي وفهمه لأسرار الكون. نعم، إن تقدّم العلوم يسهم في فهم المزيد من معاني آيات القرآن الكريم وإشاراته العلميّة، مصداقا لقول الله تعالى: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)"(سورة فصلت).

يقول الدكتور/ محمد علي رضائي الإصفهاني: إن توظيف العلوم في تفسير القرآن يؤدّى إلى بيان وتوضيح الإشارات العلمية الواردة في القرآن، وهذايساعدنا على تفسير وفهم الآيات على نحو أفضل. فعلى سبيل المثال: عندما يتعرّض الله سبحانه وتعالى إلى بيان أضرار ومنافع الخمر في قوله: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا (219)"(سورة البقرة) نجد المعطيات والاكتشافات العلمية في مجال الطبّ تعمل على بيان مراد الله من هذه الأضرار والمنافع، وتضع بين أيدينا تفسيراً واضحاً لهذه الآية. بل أحياناً يكون تفسير بعض الآيات، دون الاستعانة بالعلوم الحديثة، أمراً معقَّداً للغاية. فعلى سبيل المثال: في فهم وتفسير الآيات 12 .14 من سورة المؤمنون، والآية 5 من سورة الحج، هناك حاجة ماسّة إلى العلوم الطبّية؛ من أجل توضيحها. وكما نستفيد من علم اللغة لفهم معاني مفردات الآية، كذلك يجب علينا الاستفادة من علم الأجنّة؛ لفهم الآيات التي تتحدَّث عن مراحل خلق الإنسان أيضاً. الدكتور/ محمد علي رضائي الإصفهاني:مرجع سابق).

(5) دفع المسلمين إلى استخراج السنن الكونية والنواميس الإلهية:

إن النظر المتعمّق في آيات القرآن الكريم يعين على استخراج السُنن الكونية والنواميس الإلهية، ومن هذه الآيات قول الله تعالى: "قل انظروا ماذا في السموات"(يونس/101) أي: تأملوا.قال تعالى: "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت"(الغاشية/17)، يدل على تأمل حكمته في خلقها. "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (69)"(سورة النمل).. "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)"(سورة العنكبوت). "أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (6)"(سورة ق). " فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24)"(سورة عبس). "فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5)"(سورة الطارق).بل إن قسم الله تعالى بمخلوقاته الحية والجامدة لدليل على دفع المسلمين لاستخراج السنن والنواميس الكونية، قسم الله تعالى:"فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ{38} وَمَا لَا تُبْصِرُونَ{39}"(سورة الحاقة)، فهذا قسَم بجميع المخلوقات، المرئي منها (بالعين المجردة أو باستعمال المناظير والمقرّبات في الكون الخارجي، أو باستعمال المجاهر في أجسامنا وفي الكائنات الحية الدقيقة)، وغير المرئي، وهو كل ما يغيب عن مدارك الإنسان وإمكاناته. إن هذا القسَم العام ينطوي على دعوة من الله تعالى للإنسان العاقل الواعي ليقف طويلا أمام بدائع صنع الله وعظائم خلقه وإعجاز تقديره وإحكام تدبيره لأمور كل مخلوق خلقه في الكون، بدءً بالكوارك (Quark) في الذرة، وما دونه، وانتهاءً بالمجرة (Galaxy) وما فوقها. يقول الله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ{28}"(سورة فاطر). وفي المقطع "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء" لفت للأنظار إلى أن العلماء (ولم تحدد الآية أصنافهم أو تخصصاتهم) هم أحق الناس بخشية الله، لأنهم النخبة والصفوة التي تتعرف على أسرار قدرة الله تعالى في خلقه، وتعلم بأطراف من دقة إحكامه في صنع الموجودات في كونه الفسيح. وقرأ البعض "العلماء" في هذه الآية بفتح الهمزة، كما ورد في تفسيره "الكشاف" لصاحبه جار الله الزمخشري (ت 538 هـ)، وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن أبي حنيفة. فهل يخشى الله من عباده العلماء؟! أجاب الزمخشري بقوله: الخشية في هذه القراءة استعارة، والمعنى إنما يجلهم (الله) ويعظمهم (ا.هـ).

(7) تقديم الأدلة الدامغة لغير المسلمين على صدق القرآن:

نتائج بحوث الإعجاز العلمي تمهّد الأرضية لدخول غير المسلمين في الإسلام وإيمانهم بالقرآن الكريم (وهذه عملية الإثبات)، بل إن هذا فتح جديد في مجال إقناع غير العرب وكافة الإنسانية كلها بالقرآن الكريم وإثبات أنه من عند الله تعالى، فإذا كان القرآن يخاطب كل الناس فإن الأعجميين أكثرهم، فلا بد أن يضاف إلى الإعجاز البياني والبلاغي اللغوي مجال آخر هو الإعجاز العلمي الذي يملك وسائل إقناع الناس الذين هم على غير دراية باللغة، وليس لهم باع كبير في فهم جوانب الإعجاز الأخرى . فلو اقتصرنا على أوجه الإعجاز اللغوي والبياني لقال غير العرب: هذا كتاب ما عهدنا نزوله، ولا نفهم أسلوبه، ولا ندرك عبارته، ولا نقرأ ألفاظه، لأن هذا وذاك ليس من لغاتنا، فلا تلزمنا الحجة به ..!! (دكتور/ محمد إبراهيم شريف: مرجع سابق). وبعبارة أخرى، تعد نتائج بحوث الإعجاز العلمي من أكبر البراهين على أن القرآن الكريم منزَّلٌ من عليم خبير ولا يمكن أن يكون من تأليف بشر، فكون القرآن الكريم يخبر عن حقائق علمية، سواء تعلقت بالآفاق أم الأنفس، ثم يأتي العلم الحديث ليكتشف ما أخبر به القرآن قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، كلُّ هذا يجعل طالب الحق يعتقد أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم ولا غيره من البشر، بل هو منزَّل ممن علم ما كان وعلم ما يكون، وبالتالي، فإن الإعجاز العلمي ليس مذموما بل محمودا (ناصر عبدالغفور: كلمة مختصرة في الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي، منشور بموقع "طريق الإسلام" على شبكة الإنترنت، 2021/10/17م، بتصرّف).

يقول الدكتور محمد الأصفهاني: يمكن للتفسير العلمي في بعض الموارد أن يُثبت الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، بمعنى أن القرآن الكريم قد نزل قبل أكثر من أربعة عشر قرناً، وقد ذكر منذ ذلك الحين مسائل علمية لم يكن بوسع الإنسان

في حينها أن يكتشفها أو يتعرَّف على أبعادها، وكان الناس عاجزين عن أن يأتوا بمثلها، ثم وبعد مرور القرون تمّ اكتشافها بواسطة العلوم التجريبية على نحو القطع واليقين.وهذا يُثبت أن القرآن الكريم معجزةٌ إلهية، ولذلك لا يمكن له أن يكون كلاماً بشرياً. وبالتالي، يُمهِّد الأرضية لدخول غير المسلمين في الإسلام وإيمانهم بالقرآن الكريم (الدكتور/ محمد علي رضائي الإصفهاني: مرجع سابق).

والأمثلة على ذلك كثيرة، منها الاستدلال بآياتٍ قرآنية على قانون الزوجية العام بين الكائنات (وقانون الزوجية في النباتات، كما في يس: 36)، وقوّة الجاذبية (كما في الرعد/ 2؛ لقمان/ 10)، وحركة الشمس وجريها وسباحتها (كما في يس/ 38)، وفلسفة حرمة الخمر (كما في البقرة/ 219)، ومراحل خلق الإنسان (كما في الحجّ/ 5؛ المؤمنون/ 12 .14))، وتلقيح السحب والنباتات (كما في الحجر/ 22)، وغير ذلك.

مثال: الغلاف الجوّي المحيط بالأرض:

يقول الله تعالى: "وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ{32}"(سورة الأنبياء). ولفظة السماء تأتي في القرآن بعدة معاني، قال الفخر الرازي (ت 606 هـ) في تفسيره "مفاتيح الغيب": سمى الله سبحانه السماء سقفا في الآية 32 من سورة الأنبياء، لأنها للأرض كالسقف للبيت. والسقف في اللغة يدل على ارتفاع في إطلال وانحناء، يعنى أنه ليس مستو. فلا يمكن أن تكون السماء في هذه الآية إلا ما يعلو الناس فوق رؤوسهم، فهى، إذن، الغلاف الهوائي الذي يظلهم. أما في قول الله تعالى: "سَقْفاً مَّحْفُوظاً" في نفس الآية ، فيقول الفخر الرازي: محفوظاً من الوقوع والسقوط اللذين يجرى مثلهما على سائر السقوف. و"محفوظاً" في الآية 32 من سورة الأنبياء بمعنى (حافظ)، أو هى محفوظة وحافظة، في نفس الوقت، فالسماء المحيطة بالكرة الأرضية محفوظة بإرادة الله الخالق

الأعلى، وحافظة للبشر وغيرهم من المخلوقات الحية التي تعيش على سطح هذا الكوكب.

وجاء القرن التاسع عشر والقرن العشرون الميلاديين، ومع اختراع المناطيد والطائرات والأقمار الصناعية، اكتشف العلماء أن الغلاف الجوي يتألف من خمس طبقات (أو نُطق) رئيسة، لا ينفصل بعضها عن البعض بحدود ثابتة، وهى . من الأسفل إلى الأعلى: (1) طبقة تروبوسفير (Troposphere)- (2) طبقة ستراتوسفير (Stratosphere)- (3) الطبقة الوسطى (Mesosphere)- (4) الطبقة المتأينة (Ionosphere)- (5) الطبقة الخارجية (Exosphere)، وبها "النطاق المغناطيسي" (Magnetosphere)، وهى مغناطيسية ذات قدرة عالية على اصطياد فتات الذرات القادمة من الشمس والإمســاك بها.

الغلاف الجوي ومحتوياته الغازية عبرت عنه الآية 32 من سورة الأنبياء بكلمتين هما: "سَقْفاً مَّحْفُوظاً"، ولكي يتأكد هذا الفهم علينا أن نعلم أهم فوائد الغلاف الجوي التي جعلت منه بحق سقفا محفوظاً وحافظاً فلولاه لاستحال على جميع الكائنات الحية أن تعيش، حتى الأحياء الموجودة في أعماق البحار. وهو الذي تظهر فيه (القبة الزرقاء) صافية عندما يغمره ضوء الشمس أثناء النهار. بل، والأكثر من هذا أن بعض العلماء يذهب إلى أن السماء في قول الله تعالى: "وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ{32}" (سورة الأنبياء) هى في الواقع سماوات، وذلك ما تؤكده آية قرآنية أخرى هى قول الله تعالى:"إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً{41}"(سورة فاطر)، وبناءً على هذا، فإن السقف - المذكور في الآية (32) من سورة الأنبياء- هو في الواقع سُقُفٌ متراكبة، وهذا ما توصل العلم الحديث

إلى اكتشافه، ففي الغلاف الجوي المحيط بالكرة الأرضية عدة سقفٌ، ويقوم كل سقف منها بحماية المخلوقات من ضرر معين.

(8) الإشارات القرآنية تفتح آفاقا مستقبلية للكشوف العلمية:

يحتوي القرآن الكريم آيات تشير إلى وجود أمور وحقائق كونية لم يتوصل العلماء إلى اكتشافها بعد، وهى إشارات تدفع هؤلاء العلماء إلى اكتشافها مستقبلا، مثل قول الله تعالى: :"سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق(53)"(سورة فصلت)، "لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (67)"(سورة الأنعام)، "وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (93)"(سورة النمل)، وصيغة التسويف هنا تدل على إمكانية اكتشاف هذه الأمور وظهور تلك الحقائق العلمية في المستقبل القريب أو المستقبل البعيد، لأنها حقائق وأمور الكونية التي لم يتوصل علماء العلوم التجريبية إليها بعد، ولكن لا يوجد لدينا دليل على نفيها، لأنها ذكرت في الوحي الصادق، القرآن الكريم. ومنها نشأة الكون وغير ذلك.

مثال:نشأة الكون:

يقول الله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ{30}" (سورة الأنبياء). وبالرغم من هذا، فإن البعض من قدماء المسلمين ومحدثيهم يستدل بقول الله تعالى:"مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدا{51}"(سورة الكهف) على تحريم، أو التوقف عن، بحث موضوع خلق الكون، ويدّعون أن هذا من غيب الماضي الذي يصنفونه في "الغيب المطلق" الذي لا يفيد فيه إلا ما ورد في القرآن وصحيح الحديث النبوي، فهل لهؤلاء حق فيما يحرمونه على علماء الكون؟ بالطبع، ليس لهم الحق في الرفض أو المنع، لأن "ما أشهدتهم" من

معانيها (ما أشركتهم)، وبالطبع لم يشرك الله العظيم أحدا في الخلق.. وتبقى آية الرتق والفتق دعوة إلى اكتشاف كيفية نشأة الكون. وللمزيد، فإن الله تعالى يقول: "وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذكَّرُونَ{62}" (سورة الواقعة). وجاءت كلمة "علمتم" بصيغة الماضي تأكيدا من الله بأن الإنسان سيعلم - يوما ما - تركيب هذه النشأة، نشأة الكون ونشأة الأشياء الموجودة فيه، وهو سيعلم هذا وذاك مصداقا لقول الله تبارك وتعالى: "لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ{67}" (سورة الواقعة). كما لا يوجد تعارض بين قوله الله تعالى: "وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذكَّرُونَ{62}" (سورة الواقعة). وبين قوله الله تعالى: "مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً{51}" (سورة الكهف)، لأن هذا السياق القرآني يفرض علينا أن نفهم قول الله تعالى: "ما أشهدتهم" بمعنى (ما أشركتهم)، فالله سبحانه لم يشرك أحدا معه في خلق السموات والأرض ولا خلق الإنسان. والآية التالية في نفس سورة الكهف تؤكد هذا، ونصّها: "وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً {52}"(سورة الكهف) . كما أن هناك مثاني قرآنية تؤكد ما ذهبنا إليه ، مثل قوله الله تعالى: "وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ{23}" (سورة البقرة)، حيث تعني (شهداؤكم) شركاءكم.

(9) توظيف نتائج بحوث الإشارات العلمية القرآنية في مجال الدعوة الإسلامية:

توضح الآية القرآنية التي يقول الله تعالى فيها آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم وأتباعه: "ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125)")سورة النحل(، فوسائل الدعوة إلى الله هى: (1) الحكمة. (2) الموعظة الحسنة. (3) المجادلة بالتي هى

أحسن.وفي "التفسير الكبير"، يوضح الفخر الرازي (ت 606 هـ) الحكمة بأربعة معان: (1) مواعظ القرآن، كقول الله تعالى: ". وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231)")سورة البقرة.((2) الفهم والعلم، كقول الله تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12)")سورة لقمان(. (3) النبوة، كقول الله تعالى: ". فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ. (54)")سورة النساء(. (4) القرآن بما فيه من عجائب وأسرار، كقول الله تعالى: "ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ . (125)")سورة النحل.(إذن، فالحكمة التي أمر الله الرسول وأتباعه من العلماء هي في أبرز معانيها الدعوة إلى الله تعالى من خلال دلائل قدرته وعلامات عظمته في خلق الكائنات وأسرار المخلوقات، وكذلك ما انطوت عليه آيات القرآن من أسرار يأذن الله تعالى بانبلاجها على أيدي من يريد من عباده العلماء.

وعموماً، فإنه لما كان من قضاء الله وقدره أن يتطور العقل إلى آفاق واسعة، ولما علم الله تعالى أن الكلمة - ما لم تتدخل السماء – ستؤول إلى العلم، وجب تحديث وسيلة الدعوة عما سبق, فاكتنز الكتاب العزيز في طياته من العلوم والمعارف ما يكون معجزة للناس في كل مرحلة قطعت البشرية فيها شوطا من المعرفة، سواء في السياسة، أم في العلوم الكونية, أم في الاجتماع، أم في الاقتصاد، أم فيما شاء الله (دكتور/ محمد عبده يماني: الدعوة في العصر الحاضر وتطور نظمها وأساليب. مجلة المنهل (449) 1407هـ / 1986م).

وإجمالا،فإنه بدراسة وببحث الإشارات العلمية القرآنية نستطيع تقديم الأدلة الدامغة على وجود الخالق، وعلى أن القرآن الكريم هو كلامه، وهكذا يمكننا أن ندحض جدل المجادلين ونسفه المشككين في القرآن، والإسلام عموما، كما نستطيع أن نرتقي بالمسلم من الإيمان الموروث إلى يقين الإيمان القائم على العلم،

الإيمان الحق الذي يتحقق بالقراءة العلمية لآيات الله القرآنية، ودراسة آيات الله الكونية، فيرتقي بذلك من المستوى الوجداني إلى اليقين العلمي، فلقد أكد العلماء أنه لا إيمان صحيح بدون حجة قاطعة، وهى البراهين العلمية القرآنية. يقول الله تعالى: "وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ {6}")سورة سبأ(،وهذا مجال خصب من مجالات الدعوة الإسلامية، يجب التوسع فيه مع تقدم العلوم والتكنولوجيا.

جعلنا الله تعالى من الذين آتاهم العلم، وعملوا بمقتضاه، ونشروه بين الناس، وبلغوا به نور الرسالة الإسلامية: "بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49)"(سورة العنكبوت).

الملخص والاستنتاجات:

استهدف البحث الحالي، بالدرجة الأولى، وضع منهجية علمية لدراسة الإشارات العلمية الواردة بالقرآن الكريم، متضمنة كلا من "التفسير العلمي" و"الإعجاز العلمي" للقرآن. كما استهدف البحث، بالدرجة الثانية، بيان مزايا هذه الدراسات العلمية المنضبطة بالضابط المذكورة في المنهجية الحالية. وقد مهّدنا للبحث الحالي بتمهيد أوضحنا فيه الأهداف السامية للقرآن الكريم، وأنه كتاب شامل للإنسان في حياته الدنيا والآخرة، وركزنا على "علمية القرآن"، وشرحنا معناها باختصار، والحكمة من وجود الآيات الكونية ذات الإشارات العلمية. ثم أعطينا نبذة عن التطور التاريخي لدراسة الإعجاز العلمي لآيات القرآن الكريم، وخصوصا مع بداية القرن الخامس الهجري الذي يعد بحق "العصر الذهبي" لبيان إعجاز القرآن الكريم إلى القرن الخامس عشر الهجري الذي نعيشه الآن، مع ذكر أهم المؤلفات التي ظهرت عبر هذه المسيرة العلمية. ثم أوضحنا أساليب العلماء في هذا الاتجاه، وتنحصر في "أسلوب المطابقة" و"أسلوب التطبيق".

وقبيل الدخول إلى الضوابط الأساسية للمنهجية العلمية، عرضنا المقصود بمسمى "التفسير العلمي" و"الإعجاز العلمي" للقرآن الكريم، والهدف الأساسي لكل منهما. ثم بدأنا بالضابط الأول من ضوابط المنهجية، وهو التزام المقصد الأسمى للقرآن الكريم، وهو الهداية. ومنه، انتقلنا إلى قاعدة حاكمية القرآن الكريم للعلوم وليس العكس، ثم ركزنا على الضابط الثالث المتضمن أهمية الرجوع إلى المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم في التفسير. كما نبهنا إلى ضرورة الرجوع إلى التفاسير المعتبرة- القديمة والحديثة، وحذرنا من التفاسير التي أغرق أصحابها في ذكر الإسرائيليات والحكايات المرسلة، وأشرنا إلى أهمية احترام المفسرين وإعطائهم حقهم من التقدير، فقد بذلوا أقصى ما في وسعهم لتفسير القرآن بحسب ما توفر في أزمنتهم من معلومات. ثم نبهنا إلى خطورة الوقوف على معنى واحد من معاني اللفظة أو الآية القرآنية، وحصر مفهوم الآية فيه.ثم شرحنا ضرورة إلمام الباحث بمجموعة من العلوم المساعدة له في بحث الآيات الكونية بالقرآن الكريم. ثم وصلنا إلى قاعدة في هذه المنهجية هى ضرورة التثبت من المعطيات العلمية الحديثة قبل توظيفها في فهم الآية، وبيان الحالات التي لا ينبغي الرجوع فيها إلا إلى الحقائق العلمية الثابتة (الإعجاز العلمي)، والحالات التي يمكن توظيف النظريات العلمية الحديثة فيفهم الآية (التفسير العلمي). وبعده، عرّجنا على ضابط من الضوابط يختص بمراعاة تعدد معاني اللفظة الواحدة بالقرآن، ثم مراعاة تعدد المواضع للظاهرة العلمية الواحدة في القرآن. ثم انتقلنا إلى التزام شروط التأويل (في اللجوء إليه) وبينا مخاطر التوسع فيه. ثم أوضحنا مخاطر محاولة البعض لاستخراج كافة العلوم من القرآن الكريم في زمنواحد، كما ذهب إلى هذا أبو حامد الغزالي من الأقدمين، وطنطاوي جوهري من المحدثين. ولم نهمل ضابطا مهما في المنهجية، وهو أن السبق العلمي للآية القرآنية غير كاف للاستدلال على إعجاز القرآن الكريم . وأما الضابط الثاني عشر فتضمن خطورة الجزم بما يتوصل إليه

الباحث، وحصر معنى الآية فيما توصل إليه، كما نراه - للأسف- في الكثير من كتابات المنتسبين للإعجاز العلمي خلال العشرين سنة الماضية، فلا يجوز أن يجزم الباحث بما يراه ولا يجوز أن يحصر معنى الآية وأن الصواب فقط هو فيما كتبه. ومن الأهمية بمكان أن يعلم الباحث في هذا المجال بالوحدة الكلية للقرآن الكريم، ويعلم بعمود السورة التي تقع فيها الآية محل البحث والدراسة، ويعلم أيضا بالسياق العام للآية. وبعده، تناولنا في الضابط الرابع عشر خطورة بحث الآيات القرآنية المتعلقة بالغيب المطلق وكذا المتعلقة بأمور الحياة الآخرة، وقد دفعنا هذا إلى وضع ضابط آخر للتحذير من الانخراط في محاولة التفسير العلمي للمعجزات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم.. وأما الضابط قبل الأخير فهو الأس الأساس في العملية البحثية، وهو التجرد والإخلاص المحض لكتاب الله العزيز مع توفر الموهبة التي تمكن من ولوج هذا المجال.. وختمنا بضابط يشير إلى أهمية العمل الجماعي، عمل الفريق، وهو أفضل بكثير من الجهود الشخصية المبعثرة.

وبعد أن عرضنا الضوابط الأساسية في هذه المنهجية العلمية، دخلنا إلى بيان أهم المزايا لدراسات التفسير العلمي والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وهى الدراسات المنضبطة بالضوابط السابق ذكرها، وبدأنا بفقه الكون والظواهر (أو الظاهرات) الكونية، وهو ما دفع إليه القرآن الكريم لتخليص الناس من الأوهام والتصورات الخاطئة حول الأمور الكونية المختلفة. ثم أوضحنا كيف تكون نتائج هذه الدراسات والبحوث تعزيزا لإيمان المسلمين، وخصوصا المؤلفة قلوبهم، وحماية الشباب من الغزو الفكري المتسلط عليهم من كل اتجاه.

كما أوضحنا كيف يحفز القرآن الكريم المسلمين لولوج مجالات البحوث الكونية، ولعل الآيات التي تنتهي بقول الله تعالى: ". وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ."، ". إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" التي وردت عدة مرات، ". لآية لقوم

يعقلون" التي وردت عدة مرات، ". وما يعقلها إلا العالمون"، وغيرها من الآيات، لتدفع إلى هذا وتحض عليه.

ومن مزايا توظيف العلوم الحديثة في تفسير القرآن الكريم أو بيان إعجازه العلمي الوصول إلى فهم أفضل لهذه الآيات ربما كان خافيا على من قبلنا من علماء المسلمين.. بل وهناك من آيات القرآن الكريم ما يدفع إلى استخراج السنن الكونية والنواميس الإلهية، مثل قول الله تعالى: "قل سيروا في الأرض فانظروا."، "أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم."، "فلينظر الإنسان مم خلق"، وغيرها.

ومن مزايا هذه الدراسات والبحوث تقديم الأدلة الدامغة لغير المسلمين على صدق القرآن الكريم وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالقرآن يخاطب كافة البشر، وأغلبهم من غير المسلمين، فكيف يفهمون إعجازه اللغوي أو البياني، وهم لا يعرفون العربية، فلابد إذن من بيان الإعجاز العلمي لهم.. وعرضنا في هذا البند أمثلة، هى: حديث القرآن عن الغلاف الجوي لكوكبنا الأرضي- حديث القرآن عن ضيق التنفس بالصعود إلى طبقات الجو العليا- حديث محمودالقرآن عن صدوع الأرض- حديث القرآن عن حركة الأجرام السماوية بل وسباحتها- حديث القرآن عن الجبال ووظائفها في تثبيت الأرض واستقرارها- حديث القرآن عن أقصر مدة للحمل عند المرأة- الحكم العلمية لتحريم تناول لحم الخنزير- الحكم العلمية لتحريم تناول الدم المسفوح.

كما شرحنا كيف أن دراسة الإشارات العلمية القرآنية تفتح آفاق مستقبلية للكشوف العلمية، فقد احتوى القرآن الكريم أمورا وحقائق كونية لم يتوصل العلماء إليها حتى الآن، مصداقا لقول الله تعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"، وهذه الحقائق العلمية القرآنية تعد دافعا للعلماء على السعي من أجل اكتشافها مستقبلا. وذكرنا من الأمثلة لذلك: موضوع

نشأة الكون- الذرة والجسيمات دون الذرية- وجود كائنات عاقلة في أنحاء متفرقة من الكون- موضوع السماوات السبع- خلق الإنسان من التراب مباشرة- المادة الخفية في الكون- ما بين السماء والأرض. ثم ختمنا بكيفية توظيف نتائج بحوث الإشارات العلمية القرآنية في مجال الدعوة الإسلامية، من منطلق قول الله تعالى: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة." والحكمة في أبرز معانيها الدعوة إلى وحدانية الله من خلال دلائل قدرته وعلامات عظمته في خلق الكائنات وتصميم البناء الكوني. هذا، والله ولي التوفيق..

المصادر والمراجع

الغزالي، أبو حامد (ت 505هـ) جواهر القرآن(دار الآفاق الجديدة للنشر والتوزيع - بيروت، ط 5، سنة 1981م)

الرومي، فهد بن عبدالرحمن اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية برقم 951/ 5 وتاريخ 1406/8/5،ط1, 1407هـ- 1986م.

عبد المجيد بن عزيز الزنداني وآخرون، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المكتبة العصرية، بيروت لبنان.

النجار، الدكتور/ زغلول: الإعجاز العلمي.. إشكالات المنهج والتطبيق حوار مع د. زغلول النجار. حوار بموقع "إسلام أون لاين" على شبكة الإنترنت، بتاريخ 2005/8/11م.

غنيم، دكتور/ كارم السيد: الإشارات العلمية في القرآن الكريم- بين الدراسة والتطبيق. دار الفكر العربي بالقاهرة، ط 1، 1995م .

غنيم، دكتور/ كارم السيد: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة- جهود وإنجازات مختلف الجهات،سلسلة "المشكاة"، المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة بمصر، ط 1، 1425هـ / 2004

مسلم بن حجاج (ت261هـ)، صحيح مسلم

الطحاوي، ابو جعفر (ت321هـ) شرح مشكل الآثار (4618) (مؤسسة الرسالة)

الذهبي، محمد حسين (تفسيروالمفسرون) (كمتبة وهبة بالقاهرة، طبعة سنة 2000م)

اللوح، الدكتور/عبد السلام (التفسير العلمي بين القبول والرد عرضا ودراسة، بإختصار وتصرف)

الرومي، الدكتور/فهد ، دراسات في علوم القرآن، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، 1401هـ، 2005م

ناصر عبد الغفور، كلمة مختصرة في الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي (منشور بموقع "طريق الإسلام" على شبكة الإنترنة، 2021/10/17م بتصرف)

الدكتور/احمد سليم سعيدان، مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام (سلسلة عالم المعرفة بالكويت (131)،ط1988،1م)

محمد الأمين، بحث التفسير العلمي القرأن بين المجيزين والمانعين (منشور بموقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة)

محمد هادى معرفة، التمهيد في علوم القرآن (نشر دار المعارف، بيروت/لبنان طبعة 1432هـ/2011م)

الشعراوي، محمد متولى، خواطر

السيوطي، جلال الدين، الإتقان في بيان علوم القرآن

الإصفهاني، الدكتور محمد علي رضائ، الإعجاز والتفسير العلمي للقرآن (الموقع مركز البحوث المعاصرة، بيروت)

عبد الرزاق نوفل، القرآن والعلم الحديث (دار الكتاب العربي، 1984م)

خالد عبد الرحمان العك، اصول التفسير وقواعده (دار النفائس، 1406هـ/ 1986م)

الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن (طبعة دار المعرفة، بيروت)

الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن (دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، 2018م)

القرضاوي، الدكتور/ يوسف ، العقل والعلم في القرآن الكريم (مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، 1422هـ/ 2001م)

الزنداني، عبد المجيد، المعجزة العلمية في القرآن والسنة (المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، اسلام آباد، باكستان، 1407هـ/ 1987م)

دكتور/ محمد ابراهيم شريف، هداية القرآن في الآفاق والأنفس (1986م)

مدحت حافظ ابراهيم، الإشارات العلمية في القرآن الكريم (مكتبة غريب بالقاهرة، ط1، 1993م)